الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

نزعة الألم و جروح الرّوح في قصائد الحب المهجرية إبراهيم ناجي " أنموذجا "

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي/ لغة عربية

إعداد الطالب(ة):
*- كحل السنان فايزة .
*- بوخالفة إيمان .

إشراف الأستاذ(ة):
بوقاســـة فطيمـــة

السنة الجامعية: **2015/2014**

دعـــــــــــــــــــــــاء

﴿ قال الله تعالى ﴾

« اقرأ باسم ربك الذي خلق[1] خلق الإنسان من علق[2] إقرأ و ربك الأكرم[3] الذي علم بالقلم[4] علم الإنسان ما لم يعلم »

﴿ قال صلى الله عليه و سلم ﴾

« لا خير في من كان من أمتي ليس بعالم و لا متعلم »

اللّهم اهدينا في من هديت وعافنا في من عافيت و تولّنا في من تولّيت و بارك لنا في ما أعطيت و قنا واصرف عنّا شرّ ما قضيت ، اللّهم آت نفوسنا تقواها و زكّها أنت خير من زكّاها أنت وليّها و مولاها .

اللّهم ارزقنا الإخلاص لك في القول و العمل

اللّهم أعنّا على ذكرك و شكرك و حسن عبادتك

اللهم يا سامع الصوت و يا سابق الفوت و يا كاسي العظام لحما يعد الموت هب لنا من لدنك رحمة و اجعل خير أعمالنا خواتيمها و خير أيامنا يوم نلقاك فيه

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين و صلّ اللهم على سيّدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين كلّما ذكرك الذّاكرون و غفل عن ذكرك الغافلون

إهداء

إلى من أدى الأمانة ، و بلغ الرسالة ، و نصح الأمة و اهتدينا بهديه و سرنا على دربه النبي المصطفى " **محمد صلّى الله عليه و سلّم** " .

إلى من فتح لي أبواب النجاح ، و أصدقني تجارب الحياة بالنصح و التوجيه و الإرشاد ،و أنار دربي بعطائه و مناياه و مشيت بجانبه إلى فضائل الأخلاق التي سأبني في برجها أحلامي و مستقبلي ... " **أبي الغالي**" ... حفظك الله .

إلى منبع الحنان ومرفأ الأمان ومن تحت قدميها لنا الجنان ، وحضن الشوق والإحسان التي تلف قلبي بين جوانحها وتغمر حياتي بأنوارها وتوهج لي كف العطاء ... " **أمي الحبيبة** "... حفظك الله .

إلى رسائل الأشواق الغامرة وحضن الحنان الدافئة ونسيم الصباح المنعش التي ترشدني بنصائحها وتغمرني بعطائها ووفائها " **أمي الثانية جدتي العزيزة** " ... رعاك الله .

إلى إخوتي " **رقية** " وزوجها " **ساعد** " ، " **هاجر** " ، " **صلاح الدين** " ، " سارة " وأخص بالذكر المشاكس " **شراف الدين** " والبرعومة " **أماني** " حفظكم لله جميعا وأنار دربكم وأدامكم شموعا مضيئة في حياتي .

إلى عماتي : " **زهية** " ، " **فتيحة** " ، " **نوال** " ، وأزواجهم وأولادهم ، رعاكن الله وأدامكن سندا لنا.

إلى خالاتي : " **زهية** " ، " **لعكري** " ، " **حنان** " ، سدد الله خطاكم.

إلى أخوالي : " **عمار**" ، " **عبد الوهاب** " ، " **يوسف** " ، " **بلقاسم** " و زوجاتهم وأولادهم .

إلى صديقاتي العزيزات : " **إكرام** " ، " **ليلى** " ، " **سلاف** " ، " **شهرة** " ، " **سمية** " ، " **نجوى** " " **شهرزاد** " " **وداد** " ، " **ليندة** " ، " **أسماء** " ، " **كريمة** " ، " **أشواق** " ، "**حياة** " ، " **إيمان** " **فايزة** " "**حسينة** "، " **صفية** " ..... أرسل لكن أشواقي مع نسمات السحر خاصة : " **ليلى و إكرام** " .

إلى أستاذتي الفاضلة " **بوزيان شافية** " وإلى كل أساتذتي الكرام جزاكم الله عني كل خير .

إلى من عرفتهم طيلة مشواري الدراسي ... إلى من ساعدني ولو بكلمة طيبة ... الى كل من ذكرهم قلبي ولم يذكرهم قلمي ... أهدي لكم جميعا أول أعمالي ، وصلِّ اللهم وسلِّم على النبي المختار و على آله و صحبه أجمعين .

إهداء

بسم الله الرحمان الرحيم

*** قل اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله و المؤمنون ***

صدق الله العظيم

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك...و لا يطيب النهار إلا بطاعتك...و لا تطيب اللحظات إلا بذكرك... و لا تطيب الآخرة إلا بعفوك...و لا تطيب الجنة إلا برؤيتك... " **الله جل جلاله** " .

إلى من بلغ الرسالة و أدى الأمانة ونصح الأمة... إلى نبي الرحمة و نور العالمين.

" **سيدنا محمد صلى اله عليه و سلم** "

إلى من كلله الله بالهيبة و الوقار...إلى من علمني العطاء بدون انتظار ...إلى من أحمل اسمه بكل افتخار...أرجوا من الله أن يمد في عمرك لترى ثمارا قد حان قطافها بعد طول انتظار و ستبقى كلماتك نجوم أهتدي بها اليوم و في الغد و إلى الأبد ...والدي العزيز " **الحسين** " .

إلى ملاكي في الحياة إلى معنى الحب و إلى معنى الحنان و التفاني...إلى بسمة الحياة و سر الوجود إلى من كان دعائها سر نجاحي و حنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب. ..أمي الحبيبة " **نصيرة** " .

إلى أخي و رفيق دربي ...هذه الحياة بدونك لاشيئ معك أكون أنا و بدونك أكون مثل أي شيئ.... في نهاية مشواري أريد أن أشكرك على مواقفك النبيلة إلى من تطلعت لنجاحي بنظرات الأمل...أخي الحبيب " **محمد** " .

إهداء خاص و الشكر الجزيل إلى أغلى الناس خطيبي و شريك حياتي " **المهدي** "

إلى توأم روحي و رفيقة دربي إلى صاحبة القلب الطيب و النوايا الصادقة ... أختي العزيزة "**سلوى** " و صديقتي " **إيمان** "

إلى من أرى التفاؤل بعينهم...و السعادة في ضحكتهم إلى شعلة الذكاء و النور و إلى وجهان مفعمان بالبراءة ... إخوتي " **أحمد** " و " **عبد الحق** ".

شكـــر و عـرفـــــان

حين تضرم في جوانحي لحظة الذكر يطرق زورق الثناء فتحترق مسافات الحلم أنبذ دقيقة الصمت و أنسى الجفن و أترك الكلمات تتطاير ثم تحين لحظة الإفضاء فتكون أول كلمة الحمد لله المبتدئ بحمد نفسه قبل ان يحمد الحامد فهو الذي افتتح كتابه بالحمد و اختتمه بالحمد.

فنحمده أبلغ الحمد على جميع نعمه و نسأله مزيدا في فضله و نشهد أن لا إله إلا الله و الصلاة و السلام على خاتم النبيين محمد صلى الله عليه و سلم.

نتقدم على خالص الشكر إلى الأستاذة المشرفة التي ساعدتنا على إنجاز هذا البحث و لم تبخل علينا بإرشاداتها و نصائحها.

إلى الأستاذة الكريمة * بوقاسة فطيمة *.

دون أن ننسى الأساتذة الذين أشرفوا على تعليمنا حتى المرحلة التي وصلنا إليها ، نشكر كل من ساعدنا على إنجاز هذا العمل المتواضع من بعيد أو من قريب.

و في الأخير نسأل الله عز وجل أن يمن علينا بالتوفيق و أن يتقبل منا هذا العمل المتواضع و أن يجعله في صحائف أعمالنا و الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

المقدمة

مقدمـــــة:

تعتبر ظاهرة الألم ظاهرة متميزة و بارزة في العصر الحديث،لأنه يعكس أزمات نفسية و فكرية و اجتماعية و أخلاقية خاصة إذا اقترن اسمه بالحب الذي هو لصيق بالنفس، يخفق القلب بذكره و يتحرك الوجدان و تنساب المشاعر و الأحاسيس صدقا و شعرا،خاصة إذا تجرع مرارته ، و الواقع أن الحب الطاهر جزءا لا يتجزأ من إنسانية الإنسان، به ينمو ويرقى و يتطهر، وبه يحقق أسمى عواطفه، لذلك يكثر في أشعار المحبين الصدق العاطفي المفعم بنزعة الألم و المعاناة، و تبرز هذه الظاهرة على وجه الخصوص عند شعراء المهجر،إذ يولد في نفسيتهم الاضطراب الذي بدوره يعبر عن الحالة النفسية المتألمة و المتأزمة لذلك تغلغلت نزعة الألم في قصائد الشعر المهجري ، الذي تفيض منه أصداء حزينة و مشاعر جياشة، تنبثق منها عبارات وكلمات رصينة تسيل وجعا.

إذ عرف الأدب المهجري الكثير من الشعراء الذين برزت في أشعارهم هذه النزعة من بينهم إيليا أبو ماضي ميخائيل نعيمة ، جبران خليل جبران الذين عبروا عن تجاربهم الصادقة و حالاتهم المتأزمة بقلم صادق، و شعر رائع، ما حبب لنا دراسة نزعة الألم في قصائد الحب المهجرية ، و كان إبراهيم ناجي نموذجا فاخترناه عنوان لمذكرتنـا.

و من هناك كان بحثنا الموسوم بنزعة الألم و جروح الروح في قصائد الحب المهجرية " إبراهيم ناجي نموذجا " يحاول البحث عن أهم الأسباب التي أثارت نزعة الألم في قصائد حبه، حاملا بين ثناياه مجموعة من التساؤلات أبرزها:

- ماهي نزعة الألم؟
- ما هو الحب؟
- كيف كان تطوّر الغزل عبر العصور؟
- ماهي دوافع الهجرة و ظهور الأدب المهجري؟
- ماهي خصائصه؟
- أين تجلت نزعة الألم في قصائد حب إبراهيم ناجي؟

و قد فرضت مادة البحث و طبيعته تقسيمه إلى:

مقدمة.

الفصل الأول:و عنوناه ضبط المصطلحات ، تناولنا فيه:

I. **نزعة الألـــم.**

1-لغة.

2- اصطلاحا.

II. **الحب.**

1-لغة.

2-اصطلاحا.

3-أنواع الحب.

4-أسماء الحب.

5-آراء بعض النقاد في الحب.

6-الغزل عبر العصور.

أ-الغزل في العصر الجاهلي.

ب-الغزل في عصر الإسلام.

ج- الغزل في العصر الأموي.

د – الغزل في العصر العباسي.

هـ- الغزل في العصر الحديث

III. **الأدب المهجري:**

1- لغة.

2-ماهية الأدب المهجري.

3-عوامل ظهور الأدب المهجري.

أ-العامل السياسي.

ب- العامل الاقتصادي.

ج-العامل التاريخي.

د-العامل الديني.

هـ-عامل الصدفة.

4- خصائص الأدب المهجري.

1- من حيث المضمون.

أ- النزعة الإنسانية.

ب- الحنين غلى الوطن.

ج- النزعة التأملية.

د-غرض الطبيعة.

2- من حيث الشكل.

أ- الوحدة العضوية.

ب-الأوزان و القوافي.

ج-الصورة الشعرية.

د-العنونة.

و-الرمز.

الفصل الثانـي: وعنوناه بنزعة الألم في قصائد حب إبراهيم ناجي تناولنا فيه:

1- الفراق.

2- الشوق و الحنين.

3- الذكريـات.

4- الخيانـــة.

5- الكـــذب.

-ملحـــــــق.

خاتمـــــــــــة.

أما فيما يخص منهج البحث فإن طبيعة المادة العلمية و النصوص الشعرية هي التي تحدد طبيعة المنهج الملائم لمعالجتها، و تستدعي إجراء منهجية معينة في دراستها و تحليلها لذلك تمت الاستعانة بالمنهج الفني الجمالي قصد إبراز جمالية النصوص الأدبية بطريقة فنية.

و قد اعتمدنا في بحثنا هذا على مجموعة من المصادر و المراجع ،خدمت موضوعنا بشكل كبير منها : ديوان " إبراهيم ناجي " " وراء الغمام " ،" الطائر الجريح " ، و كذا كتاب صابر عبد الدايم " أدب المهجر" دراسة تحليلية تأصيلية لأبعاد التجربة التأملية في الأدب المهجري ، و كتاب حسان أبو رحاب " الغزل عند العرب " ، و كتاب عبد الحكيم بليغ " التجديد الشعري في المهجر بين النظرية و التطبيق " و غيرها من الكتب و الدواوين.

و مع تنوع المراجع المستعان بها، تنوعت كذلك الصعوبات و العراقيل التي واجهتنا نعف عن ذكر بعضها ، لكننا نقتصر على بعضها في النقاط التالية:

- قلة الدراسات التي أنجزت حول إبراهيم ناجي.
- ندرة المصادر و المراجع الحديثة خاصة التطبيقية منها، و المتوفر منها منعدم في مكتبتنا الجامعية.
- صعوبة تحليل نفسية الشاعر مع غموض بعض جوانب حياته و تشابكها.
- اتساع جديد شعراء المهجر في مختلف الجوانب و صعوبة الإلمام بكل هذه الجوانب.
- صعوبة التواصل إلى السبب الحقيقي وراء بروز نزعة الألم في قصائد حب إبراهيم ناجي.

و في الأخير نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساهم في إنجاز هذه المذكرة من قريب أو بعيد، و أخص بالذكر الأستاذة المشرفة *بوقاسة فطيمة*التي بذلت الكثير من أجلنا بغية إنجاز هذا العمل، ولم تبخل علينا بنصائحها المنهجية القيمة و بكل التوجيهات التي تخدم البحث و تثريه كما نشكرها على وقتها الثمين الذي قضيته معنا في إنجاز هذه المذكرة فجزاها الله كل الخير.

و الحمد لله الذي هدانا لهذا،و ما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله .

الفصل الأول: ضبط المصطلحات

الفصـــل الأوّل : ضبـــط المصطلحـــــــات

I. **نزعــة الألــم** :

1 – الألم لغـة .

2 – الألم اصطلاحـا .

II. **الحــب** :

1 – الحـب في اللّغـة .

2 – الحـب اصطلاحـا .

3 – أنـواع الحـب .

4 – أسمـاء الحـب .

5 – آراء بعض النقّاد في الحـب .

6 – الغزل عبر العصور :

أ. الغزل في العصر الجاهلي .

ب. الغزل في صدر الإسلام .

ج. الغزل في العصر الأموي .

د. الغزل في العصر العباسي .

هـ. الغزل في العصر الحديث .

III. <u>الادب المهجري</u> :

1 - المهجر لغـة .

2 - ماهية الأدب المهجري .

3 - عوامل ظهور الأدب المهجري :

أ. العامل السياسي .

ب. العامل الاقتصادي .

ج. العامل التاريخي القديم .

د. العامل الديني .

هـ. العامل الصدفة .

4 - خصاءص الأدب المهجري :

1 - من حيث المضمون :

أ. النزعة الانسانية .

ب. الحنين إلى الوطن .

ج. النزعة التأمليـة .

د. غرض الطبيعة .

2 - من حيث الشكل :

أ. الوحدة العضوية .

ب. الأوزان و القوافي .

ج. الصورة الشعرية .

د. الرمـز.

هـ. العنونـــة .

I. نزعة الألـــم :

1- الألـــم لغـة :

اتخذ الألم في المفهوم اللّغوي معان كثيرة ، و تطرّقت إلى ضبطه العديد من المعاجم.

فقد ورد في لسان العرب أنّ الألم : « الوجع و الجمع آلام ، و قد أَلِمَ الرجل يألَمُ ، ألمًا فهو ألِمٌ و يجمع الألم : آلاماً ، و تألّمَ و آلمته ، و الأليم ، المؤلِم : الموجع.

و العذاب الأليم : الذي يبلغ إيجاعه غاية البلوغ ، و إذا قلت عذاب أليم و هو بمعنى مؤلم قاله : و مثله رجلٌ وجع و ضرِبٌ ، وجع أي موجع و تألَّم فلان من فلان إذًا اشتكى و توجَّع منه.

و التألّمُ : التوجّع ، و الإيلام : الإيجاع ، و ألِمَ بطنه من باب نسفه .»[1]

الألم إذا يعني الوجع ، و هو جمع آلام إي أوجاع .

كما ورد في الوسيط بمعنى الوجع كذلك.

« ألم ألمًا ، وجَعَ فهو ألِمٌ يقال ألِمَ بطنه ، وجَعَ بطناً ، على التمييز آلمه ، إيلامًا : أوجعه فهو مؤلم و أليم . »[2]

و هو هنا لا يخرج عن معنى الوجع .

1- ابن منظور: لسان العرب ، (تق : خالد رشيد القاضي) ، ج1 ، ط1 ، دار صبح ، بيروت ،2006 ،ص 173 .
2- مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ، ط1 ، مكتبة الشروق الدولية ، بيروت ،2004 ص 24.

و ورد في معجم الصحاح أنّ « الألم : الوجع و قد ألم يألمُ ألمًا ، و قولهم : ألمت بطنك كقولهم : رَشِدتَ أمرَكَ أي ألمَ بطنك ، و رشِدَ أمرُك ، أي التألُّم : التوجّع ، الإيلام : الإيجاع. »[3]

لا يخرج الألمُ هنا كذلك عن معنى الوجع ، و بذلك فإنّ الألم لغة يعني : الوجع و الآلام.

2-<u>الألـم اصطلاحــا</u> :

تطرّق الكثير من الأدباء و الفلاسفة و العلماء إلى معنى الألم ، حيث اتّخذ معان كثيرة و هو « إحساس صادر من منطقة معينة في الجسم ظاهرة أو باطنه ،... في اليد أو الكتف أو الرأس ... في المعدة أو الحلق ، و هو إحساس صادر من الجلد أو العضلات أو العظام أو أي عضو داخلي في المعدة أو المثانة ... أيّ بقعة في جسم الإنسان يمكن أن يصدر عنها الإحساس بالألم ...»[4]

كما أن الألم هو مقابل اللّذة التي تنشأ عن مضاد لطبيعة الفاعل .

لذلك الألم نوعان : جسمي و نفسي ، أمّا الجسمي فينشأ عن إحساسات جسمية ذات مصدر محدود كاحتراق اليد مثلا ...

و أمّا الألم النفسي فينشأ عن تأثير الميول و الأفكار و الاعتقادات و الآراء ، كمن يسمع بموت صديق له فيؤلمه خبر موته .

و بالتالي الألم هو شعور أو انفعال ينتاب شخصا ما ، فينعكس على نفسيته ، و يسيطر الحزن و الكآبة عليه ، و تراه كئيبا مهموما ، ما يؤدي إلى الإصابة بأمراض نفسية ، كما

3- الجوهري : معجم الصحاح ،ج1 ، دار الحديث ، مصر ، (د.ت) ، ص 51 .

4- عادل صادق : الألم النفسي و العضوي ، ط1 ، دار الكتاب الحديث ، القاهرة ، 1984 ، ص 14 .

يكون دافعا للإبداع في بعض الأحيان ، و الخنساء في رثائها لأخيها صخر أحسن مثال على ذلك .

II. الحـب :

1- الحب في اللّغة :

تناولت الكثير من المعاجم مفهوم الحب ، فقد ورد في معجم مقاييس اللّغة أنّه:

« حُبْ : الحاء و الباء أصول ثلاثة أحدهم اللّزوم و الثبات ، و الآخر الحبةُ من الشيء ذي الحبْ ، و الثالث حذف القصر. »[5]

إنّ من مقتضيات الحب يلازم المتحابين و ثبات حبهم ، و ملازمة الحب للقلب و تعلّقه بالمحبوب كما ورد في معجم الوسيط أنّ لفظ الحبْ من « حبِّ الإنسان و الشيء حبًّا أي صار محبوباً ، و يقال : حَبُبْتَ إليَّ في المدح و التعجّب ، و فلانًا أحبه ، و هو قليل الاستعمال و كثر في الاستعمال أحبُّ .»[6]

و الحب هنا يتخذ معنى المدح و التعجّب.

كما ذهب صاحب لسان العرب إلى أنّ : « الحبُّ نقيض البغض و الحِبُ الوداد و المحبة.»[7]

فالحب بالضم أو الحِبُ بالكسر يتخذ معنى واحد و هو الوُدُّ .

5- ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ، (تق : عبد السّلام محمد هارون) ، ج2 ، ط2 ، دار الفكر ، بيروت ، 1999، ص 26.

6- مصطفى ابراهيم و آخرون : المعجم الوسيط ، ج1 ، دار العودة ، بيروت ، (د.ت) ، ص 150 .

7- ابن منظور : لسان العرب ، ج3 ، ص 5 .

و يمكن القول أنّه يتّخذ معنى المحبوب أيضا .

2- الحب في الاصطلاح :

تناول الكثير من الفقهاء و الأدباء و الفلاسفة مفهوم الحب و كلٌّ يعرفه حسب وجهة نظره فأبو البقاء الكفوي يعرفه على أنّه : « عبارة عن ميل الطبع في الشيء الملذ ، فإن تأكّد الميل و قوي يسمى عشقًا ، و العشق مقرون بالشهوة ، و الحب مجرّدٌ عنها .»[8]

إنّ الحب فطري في الإنسان ، و هو ناتج عن ميل شخص لآخر ، فإذا قوي هذا الحب أصبح عشقا ، و هذا العشق مرتبط باللّذة و الشهوة في حين أنّ الحب لا يرتبط بذلك.

و الحب كلمة جامعة لكل معاني الألفة و المودّة و النّقاء و الصّفاء و التلازم و الثّبات و منها الحب الإلهي الروحاني الذي يتمثل في حب الله للعبد ، و حب العبد لله ، و هذا الحب قائم على ترطيب لسان العبد بذكر الله و العمل بما يرضيه.

كما أنّ الحب سجية و طبيعة و فطرة ، كالالتذاذ و إثارة الشهوة ، ونهايته النكاح ، و كذا حب الوالد لولده و الولد لوالده .....الخ .

8- أبو البقاء : الكليات معجم في المصطلحات و الفروق اللغوية ، (تق : عدنان درويش و محمد المصري) ، ج1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1998 ، ص 398 .

3- أنواع الحـب :

للحب أنواع كثيرة مستلهمة من دلالته منها :

« 1) **حب الوطن** : و هو الحب الأوّل بعد حب الله كما يقول فيرلين.

2) **الميل الطبيعي أو العاطفي** : الذي يدعو أحد الجنسين إلى الجنس الآخر.

3) **الحب اللّحمي الشّهواني** : الذي لا يرى في المحبوب إلاّ الجسد و اللّحم .

4) **الحب الحرّ** : و هو الذي لا يتقيّد بإنسان واحد ، بل يجد ما يرضيه في كل جسد .

5) **الحب الصّوفي** : و هو الذي يتجه على الله بدلا من الاتجاه إلى الأرض .

6) **حب الإنسانية** : و هو الذي يسمو عن المصالح الفردية و الطبقية ، و يرتفع إلى الإنسان في كلّ مكان .

7) **حب الذّات** : و هي العاطفة التي تدفعنا إلى حفظ ذاتنا و تطوّر فرديتنا و هو في شكله السّامي يحثّنا على إرضاء أكثر ميولنا غيرية و اجتماعية ، و ليس حب الذّات متناقضا لحب الآخرين . »[9]

فرغم أنّ الحب كلمة بسيطة إلاّ أنّها تحمل دلالات كثيرة و مختلفة تلائم ميل الإنسان الفطري للأشياء ، سواء كان ميل شخص لشخص آخر أو ميلاً لله أو سواها .

9- عبد المعين الملوحي: الحب بين المسلمين و النّصارى في التّاريخ العربي ، دار الكنوز الأدبية ، بيروت، 1993 ، ص13 ، 14.

4- أسمـاء الحـب :

يتّخذ الحب معانٍ كثيرة ، حسب درجة ميل الشّخص و درجة عاطفته ، و لكل معنى اسم محدّد ، و اتّخذ العرب أسماء كثيرة للحب ، حتّى قيل أنّ كثرة الأسماء تدلّ على شرف المسمى ، و قد أورد ابن أبي حجلة في كتابه ديوان الصبابة ، بعض أسماء الحب و درجاته منها :

« 1) **الهـوى** : هو ميل النفس .

2)**العلاقة** : و هو الحب المتلازم للقلب .

3) العشق : هو فرط الحب ، و العاشقة هي اللّبلابة تخضّرُ و تصفّر و تحلّق بالذي يليها من الشّجر .

4) الكلف : هو شدة الحب ، و أصله من الكلفة و هي المشقّة .

5) الشغف : و هو إصابة شغف القلب أي حبة القلب .

6) الشّغف : بالغين المهملة ، و هو إحراق الحب للقلب .

7) النّجوى : و هو الهوى الباطن .

8) التبل : و هو أن يسقمه الهوى .

9) التدلة : و هو ذهاب العقل من الهوى .

10) الهيام : أن يهيم على وجهه لغلبة الهوى عليه .»[10]

10- عبد المعين الملوحي : الحب بين المسلمين و النّصارى في التّاريخ العربي ص 16 ، 17

و من أسماء الحب كذلك : الصبابة و الوجد و الدنف و الشجو و الشوق و البلبال و التباريج و الشجن و الوصب و الكمد و الأرق و السّهر و الحنين و الود و الخلة و الغرام و الوله و المقة .

و هذه ليست كلّ أسمائه بل بعضها لأنها مشتقة من حبة القلب و هي سويداؤه ، لذا بالإمكان اشتقاق أسماء أخرى للحب .

5- آراء بعض الأدباء في الحب :

كان للحب من أقلام الأدباء حظّ وافر ، و تناوله الكثير منهم بالدراسة و التحليل ، كما كانت لهم آراء حوله ، كلٌّ حسب وجهة نظره ، و مدى تأثّره به ، و انفعاله معه ، و من هذه الآراء نذكر :

- **ابن حزم الأندلسي** : يتعمّق في مفهومه للحب إذ يقول : « الحب – أعزّك الله – أوّله هزلٌ و آخره جد ، دقّت معانيه لجلالتها عن أن توصف ، فلا تدرك حقيقتها إلاّ بالمعاناة ، و ليس بمنكر في الدّيانة ولا بمحظور في الشّريعة إذ القلوب بيد الله عزّ و جلّ .»[11]

  بمعنى أنّ الحب عند ابن حزم الأندلسي يتّسم في بدايته باللاّمبالاة و في نهايته بالجد ، فحقيقة الحب لا تعرف و لا تتذوّق إلاّ بمعاناة صاحبها ، و هو أمر ليس بالمحظور في الشّريعة .
- **جبران خليل جبران** : يذهب أبعد من ذلك إذ الحب عنده غنوة حلوة تغاديه و تراوحه في كلّ زمان و مكان ، و تريه سحر الطبيعة و جمال السّكينة و عمق الأسرار، وهو بذلك يطبع الحب بالطّابع الصّوفي الذي يتّحد بالمحبوب و يفنى فيه ، يقول « سأتخّذ الحب سميرا و أسمعه منشدا ، أشربه خمرا ، و ألبسه ثوبا ، عند الفجر سينبّهني

11- عن عبد المعين الملوحي : الحب بين المسلمين و النّصارى في التّاريخ العربي ، ص 11 .

الحب من رقادي ، و يسير أمامي إلى البرية البعيدة ، و عند الظهيرة سيقودني إلى ظلّ الأشجار ، فأربض مع العصافير المحتمية من حرارة الشمس ، و في المساء سيوقفني أمام الغروب ، و يسمعني نغمة وداع الطّبيعة للنّور ، و يريني أشباح السكينة سابحة في الفضاء ، و في اللّيل سيعانقني فأنام حالما بالعوالم العلوية حيث تفطن أرواح العشّاق و الشّعراء .»[12]

حاول جبران خليل جبران أن يجعل من الحب مصاحبا له في جميع مراحل حياته فاتّخذ من الرّمز وسيلة لذلك ، و جعل من اليوم الواحد بما فيه من دورات مختلفة من الصّباح إلى المساء بمثابة حياته كلّها ، كما يواصل جبران حديثه عن الحب و دوره في تهذيب الطبيعة البشرية و التسامي بها إلى درجة الصّفاء الرّوحي حتى تصبح خبزًا مقدّسا في مأدبة الله العلوية ، يقول : « ... و يضمكم إلى أحضانه كحزمة من القمح و تحت عجلات النورج يدّرسكم و يعرّيكم ، و بالغربال يذروكم ، و من القشور يحرّركم و بين رحى الطّاحونة يطحنكم طحن الدّقيق ، و يعجنكم حتّى تلين له قناتكم ثمّ يسلمه إلى ناره المقدّسة حتى تصبحوا خبزا مقدّسا في مأدبة الله العلوية ، كل هذا يفعله الحب بكم كي تعرفوا أسرار قلوبكم ، و بهذه المعرفة تصبحون قطعة من قلب الحياة .»[13]

الحب حسب جبران بمثابة مهذّب حيث أنّه يهذّب النّفس الإنسانية ، و يبعد عنها كل الشّوائب التّي تدنّسها ، و يعلو بها إلى المثل العليا و الصّفاء و النّقاء الرّوحي فالمحب يكون دائما نقيّ الرّوح صادق المشاعر و العواطف ، فمن دبّ الحب في قلبه صار جزءًا من الحياة .

12- جبران خليل جبران : الأجنحة المنكسرة ، المكتبة الثقافية ، بيروت ، (د.ت) ص 54 .

13- جبران خليل جبران :الأجنحة المنكسرة ، ص 55 .

و الحب يتقاسمه شخصان يتبادلان العاطفة نفسها ، و يشتركان في حلو الحب و مرّه و يكتسبان صفات بعضهما البعض ، أي حدوث ما يعرف بالتأثير و التأثّر ، فالحب دليل الإنسانية الحقّة ، و رمز وجودها و دليل استمرارها .

و هناك أقوال متعدّدة عن الحب ، فهناك من يرى أنّه داء يصيب الرّوح بمعنى أنّ موطن الحب هو النّفس الإنسانية .

و هناك من يرى أنّ " الهوى إله معبود " ، و هذا رفع لمنزلته و تقديسه و تعظيمه ، فهو قويّ يؤثّر في الإنسان بشكل كبير ، من خلال ما يجرّه من ألم و معاناة من جهة ، و استلاب من جهة أخرى ، حتّى أنّه هناك من يقول بأنّ الحب " أقوى من الموت " .

6- الغزل عبر العصور :

عرف العرب الحب منذ الأزل ، حيث تغزّل الشعراء به ، و ضمّنوه قصائدهم ، و جعلوه أهمّ لوحة يتفنّنون في رسمها ، فالعربي نشأ منذ القدم محبًا للفرح و الطّرب و السّرور نتيجة البيئة التّي يعيش فيها من جهة ، و نتيجة الحياة الاجتماعية التّي تطبعه بطابعها الخاص من جهة أخرى ، و العربي صافي الطبع قويّ العاطفة ، شاعر بفطرته ، وكان الغزل ذلك الغرض الجميل ، حيث كان حبيبا إلى نفس العربي ، قريبا إلى هواه منذ القدم ، و ما زال ينمو و يرقى بتقدّم الزّمن و تطوّر الحضارة و هو ما يبرزه تطوّر الزّمن :

أ. الغزل في العصر الجاهلي :

عاش العربي في العصر الجاهلي حياة الرّحلة و الأسفار ، لذلك كان شعره مرآة عاكسة لهذه الحياة ما أدّى إلى تنوّع أغراضه الشّعرية ، كشعر الحماسة و الفخر و الرّثاء و المدح و الوصف و لكنّه بجانب ذلك كلّه كان يرى المرأة ترعى الغنم ، و في المحافل و الأسواق الأدبية و غير الأدبية لذلك كان من الطّبيعي التغزّل بها و وصفها ، حيث تربّع الغزل على

عرش الشّعر في العصر الجاهلي ، و تكاد لا تخلو قصيدة منه ، حتى إن لم يكن هو الغرض الأساس فيها ، إذ أصبح الغزل ضرورة في القصيدة الجاهلية ، حيث اقتصرت أغلب القصائد الغزلية على وصف الجمال الخارجي للمرأة ، كجمال الوجه و الجسم ، وكان الشّعراء يتفنّنون في وصف هذا الجمال ممّا أثّر في عواطفهم فثارت قرائحهم للنظم في هذا الغرض ، و عرف من الغزل في هذا العصر نوعان هما :

أوّلا : الغزل الماجن :

يعتبر الغزل الماجن أقدم نوع عرفه الشّاعر الجاهلي ، ونظم فيه قصائده ، نتيجة حياة التّرف التّي كان يعيشها ، و يسمّى كذلك بالغزل الفاحش و هو « يميل إلى وصف المرأة و إلى المبالغة في الوصف ، و إلى مجاوزته إلى ذكر أمور أخرى في المرأة تثير اللّذة و الشهوة.»[14]

و معنى ذلك أنّ الشّاعر يبالغ في وصف المرأة ، و يجعلها أداة للّهو و العبث حيث يصف محاسنها الجسدية التّي تثير اللّذة و الشّهوة ، فهو حب شهواني .

و الشّاعر الجاهلي لم يكتفِ بالتّغزّل بامرأة واحدة ، بل تغزّل بكل امرأة جميلة يصادفها و تزعّم هذا الاتجاه مجموعة من الشّعراء على رأسهم " امرؤ القيس " و يبدو هذا واضحا في معلّقته الكاملة بوصفه لمغامراته مع النّساء ، و يتجسّد ذلك في قصائد عديدة منها قوله :

« سموت إليها بعدما نام أهلها سمو حباب الماء حالا على حال.

فقالت :سبّلك الله إنّك فاضحي ألست ترى السّمار و الناس أحوال.

فقلت : يمين اللّه أبرح قاعدًا و لو قطّعوا رأسي لديك و أوصالي.

حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا فما إن من حديث و لا وصال.

14- حسّان أبو رحاب : الغزل عند العرب ، ط1 ، مكتبة الثّقافة الدّينية ، القاهرة ، 2004 ، ص 176 .

فلمّــا تنازعنــا الحديث و أسمحت ظهرت بغصن ذي شماريـخ ميّــال.

و صرنا إلى الحسن ورقّ كلّ منّــا و رضت فذللت صعبــة أي إدلال »[15]

و هذه المقطوعة توضيح لإحدى مغامرات الشّاعر اللّيلية ، حيث راح يتغزّل بهذه المرأة تغزّلا فاحشا ماجنا ، بعيدا عن صدق العاطفة و الحب الطّاهر النّقي .

ثانيا : الغزل العذري :

وهذا النّوع من الغزل نادر في العصر الجاهلي لندرة أسبابه ، و تفضيل الشّاعر حياة الترف و البغي ، فهو « حديث عن القلب ، القلب الذي أحب و اكتوى بنار الحب ، يتحدّث عن هذا الحب و هذه النّار ، و هو حب صادق بريء ، لأنّه يصدر عن الوفاء و الإخلاص يصدر عن ود متبادل لا تشوبه شائبة من اللّهو و المجون و العبث و الفجور ، لا تراه وصفا ماجنا أو حديثا خليعا ، أو قولا ساخرا .»[16]

و شاعر الغزل العذري يتغزّل بحبيبة واحدة ، يذكرها في حلّه و ترحاله ، و في نومه و يقظته ، و في رخاءه و شدّته ، و في فرحه و حزنه ، و هو في هذا يصفها و يصوّرها و كأنّ كل شيء فيها فاتن جديد ، وكل أحوالها مهما كانت لذة و متعة ، و هو حب تقي صافي ، يتّسم بالإخلاص و الوفاء للحبيبة ، بعيد كل البعد عن اللّهو و العبث .

و لهذا الغزل زعماء كثر ، اقترنت أسماؤهم بأسماء محبوباتهم أمثال : "عنترة و عبلة" ، و "عروة بن حزام و عفراء" ، يقول الشاعر عنترة بن شدّاد :

« هل غـادر الشّعـراء من متردّم أم هل عرفت الدّار بعد توهّــم .

يـا دار عبلـة بالـجـواءِ تكلّمـي و عَمِي صباحا دار عبلة و اسْلمي .

15- امرؤ القيس: الديوان ، ط3 ، دار صادر ، بيروت ، 2007 ، ص 141 .

16- حسّان أبو رحاب : الغزل عند العرب ، ص 167 .

فـوقفـت فيها ناقتـي و كأنّهــا فدنٌ لأقضي فيها حاجة المتلوّم .

و تحُل عبلة بالجواءِ و أهلنا بالحزن فالصَّمــان فالمتثلِّــم .

حُييتَ من طَلَلٍ تقادم عهده أقوى و أقفر بعد أمِّ الهيثم . »[17]

عموما يمكن القول إنّ الغزل في العصر الجاهلي كان نتيجة البيئة التي كان يعيش فيها الشّاعر و ما سادها من حل و ترحال ، فصار الشعراء يقفون على أطلال حبيباتهم و يبكونها ، و صارت القصيدة العربية في الجاهلية لا تخلو من مقدمة طللية يذكر فيها الشاعر حبيبته و يتغزّل بها.

ب. <u>الغزل في صدر الإسلام</u> :

هذّب الإسلام الغزل ، فأضحى أكثر تعففا ، إذ شغل العرب بالدعوة و الدّين ، و اتّجه الكثير منهم إلى القرآن الكريم يتدبّرونه و يدرسونه و يشرحونه ، و اشتغلوا بما تتطلّبه هذه الدعوة من جهود و جهاد فقد « تشاغلت عن الشعر العرب و تشاغلوا بالجهاد و غزو فارس و الرّوم و لهت عن الشعر روايته .»[18]

أي ضعف جانب الشعر و خفّ صيته ، و بالتّالي ضعف جانب الغزل فيه ، لأنّ الإسلام صان المرأة و حافظ على شرفها من العبث ، و رفع من قدرها و هذّب ألسنة الشعراء المتغزّلين و صرفهم إلى أمور أخرى ، و جعل شعرهم يتّسم بالعفة و الطّهارة و لكن رغم هذا فقد ظلّت طائفة من الشّعراء تعاقر الخمر في أشعارها و تغازل النساء غزلا فاحشا أمثال : "أبي محجن الثّقفي" ، و غيره من الذين لا يعطون اعتبارا لأسس الدين الإسلامي .

17- عنترة : الديوان ، دار صادر ، بيروت ، (د.ت) ، ص 15 ، 16 .

18- عبّاس محجوب : الأدب الإسلامي – قضاياه المفاهيمية و النّقدية ، جدار للكتاب العالمي ، عمّان ، 2006 ، ص 81 .

و لكن عموم الشّعراء في العصر الإسلامي اتّسم شعرهم بالغزل العفيف البعيد عن الفحش و البذاءة و هذّب الإسلام ألفاظ أولئك الشّعراء و غرس فيهم بذرة الإيمان ، التي أبعدتهم بعدا تلقائيا عن بذاءة الكلام ، و فحش القول و الغوص في محاسن النساء ، فكانت لهم « أساليب بسيطة و ألفاظ رقيقة و معاني هادفة تتناسب مع روح الإسلام و تعاليمه الدّاعية إلى حسن القول ، فهجروا الفاحش من القول و البذيء من اللّفظ ، و هتك الأعراض و دم الأبرياء .»[19]

و بالتّالي نظموا غزلا عذريا صادقا نقيا ، و هذا النّوع لم يقف الإسلام بوجهه ، و الدّليل على ذلك أنّ " كعب بن زهير" عندما مدح الرّسول صلّى الله عليه و سلّم ، بدأ قصيدته الشّعرية بالغزل يقول :

« بانت سعاد فقلبي اليوم مبتول متيّم إثرها لم يجْزَ مكبول .

و ما سعادُ غُداة البين إذ رحلوا إلاّ أغنّث غضيض الطّرف مكحولُ

هيفاء مقبلة ، عجراء مدبرة لا يشتكي قصر منها و لا طول .

تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت كأنّه منهل بالراج معلول .

شجت بذي شيم من ماء محيّة صاف بأبطح أضحى و هو مشمولُ .

تجلو الريّاح القذى عنه و أفرطه من صوب سارية بيض يعاليل .»[20]

هذا عموم الغزل الذّي كان سائدا في العصر الإسلامي ، و الذي شهد ضعفا في مضمونه.

19- نفسه ، ص 83 .

20- كعب بن زهير : الديوان ، (تق : محمد يوسف نجم) ، ط1 ، دار صادر ، بيروت ، 1995 ، ص 84 .

ج. **الغزل في العصر الأموي :**

استقر الدين في العصر الأموي و اتّسعت رقعة الدّولة الإسلامية و عمّ نوع من الطمأنينة و الاستقرار ، غير أنّ عدّة صراعات ظهرت بين الأحزاب و الجماعات ، و عرف هذا العصر طابعان من الشعر ، طابع الشعر السياسي ، و طابع الغزل الذي ازدهر ازدهارا لا مثيل له في العصر الأموي ، و ذلك لأسباب منها : التسامح الديني الذي أدّى إلى شيوع الهدوء و الاستقرار و بالتالي النظم في هذا الغرض ، و اتجه الغزل في هذا العصر ثلاثة اتجاهات منها :

أوّلا : الغزل العذري :

و يسمى الغزل العفيف أو الغزل اليدوي ، و يسمى كذلك نسبة إلى قبيلة عُذْرَ التي اشتهرت به و لأنّه انتشر في البادية ، و زعيم هذا النوع من الغزل هو " جميل بن يعمر " الذي تغزّل ب " بثينة " بالإضافة إلى كل من " قيس بن الملوّح " الذي تغزّل ب " ليلى " ، و سمّي بمجنونها ، و " قيس بن ذريح " الذي تغزّل ب " لبنى " و " عروة بن حزام العذري " الذي تغزّل ب " عفراء بنت عمّه " ، و هؤلاء الشّعراء جميعا أحبوا فتاة واحدة ، و لم يتغزّلوا بسواها في أشعارهم ، كذلك كان الشعر العذري « حديث القلب إلى القلب ، قلب العاشق و المعشوق ....، و ذلك لاكتواء قلبين بنار الحب ، حب صادق عفيف ، و العفة أوّل صفات الحب و أبرز علاماته .» [21]

و هذا دليل على طهارة القلب و نقاء النّفس و صفائها ، و صدق المشاعر و العواطف فكانت له المرأة التي تبادله الشعور نفسه ، يشتركان في هذا الحب و يتقاسمان حلاوته و مرارته ، و جاء هذا الغزل رقيق الألفاظ ، عميق المعاني ، دقيق التصوير ، حسن الخيال .

21- هناء جواد العيساوي : شعر الغزل في العصر الأموي ، دراسة في ثنائيات الشكل و المضمون ، ط1 ، دار الرضوان ، عمان 2014 ، ص 13 .

يقول " قيس بن الملوّح " متغزّلا ب "ليلى" :

« أعد اللّيالي ليلة بعد ليلة و قد عشت دهرا لا أعدُّ اللّياليا .

أراني إذا صلّيت يممت نحوها بوجهي و إن كان المصلّى ورائيا .

و ما بي إشراك و لكنّ حبّها كعود الشّجا أعيا الطبيب المداويا .

أحب من الأسامي ما وافق اسمها و أشبهه أو كان منه مدانيا . »[22]

تعكس هذه المقطوعة نفسية الشاعر المتألّمة بحب ليلى إذ جعلها كلّ همّه و كلّ شيء في حياته و هذا دليل على نقاء نفسه و صفاءها ، و عفّة شعره و عذوبته ، لأنّه يصدر عن حسّ مرهف ، و من قلب حيٍّ يتحدث بألفاظه و معانيه و أخيلته على مثله الأعلى و هي محبوبته الوحيدة " ليلى " .

و يقول " قيس بن ذريح " متغزّلا ب " لبنى " :

« بتُ و الهم يا لبينى ضجيعي و جرت مذ نأيتِ عن دموعي .

و تنفّست إذا ذكرتك حتّى زالت اليوم عن فؤادي ضلوعي .

أتناسك كي يُريغ فؤادي ثم يشتدّ عند ذلك وُلوعي .

يا لبنى فدتك نفسي و أهلي هل لدهر مضى لنا من رجوع . »[23]

يعبّر قيس عن ولعه بصاحبته " لبنى " التي أحبّها و أخلص لها الحب ، و أصابه في سبيل حبها عذاب و سقم ، و ألم مرير ، و حب قيس للبنى نموذج لقصة حب رائعة و مؤثرة تجسّد لونا من ألوان الوفاء و الإخلاص .

22- قيس بن الملوّح : الديوان ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1999 ، ص 88 .

23- قيس بن ذريح :الديوان ، ط2 ، دار المعرفة ، بيروت ، 2004 ، ص 18 ،19 .

ثانيا : الغزل الحضري و الماجن :

و سمي كذلك لانتشاره في حواضر الشام أين سادت حياة الترف و المجون ، بل الاسراف في الترف ، و اللّجوء إلى كل وسائل النعمة خبيثها و جميلها ، حيث جعلوا من المرأة أداة لهذا العبث و اتخذ الشاعر الواجد أكثر من حبيبة ، معتبرا كل النساء ملكا له ، يتغزّل بمن شاء ، لذلك كانت أشعارهم فاحشة ماجنة ، و زعيم هذا الغزل الماجن هو " عمر بن أبي ربيعة " الذي عاش بعيدا عن السياسة و الحزبية ، و تحدّث عن المرأة و عرض لحسنها و جمالها و زينتها ، و لمواطن دلها و فتنها و إغرائها ، و لم يتحرّج أن يكون وصفه دقيقا حسّاسا .

يقول :

« يا من لقلب متيّم ،كلف ، يهذي بخود مريضة النّظر .

تمشي الهوينا ، إذا مشت فضلا ، و هي كمثل العسلوج في الشجر .

ما إن طمعنا بها ، ولا طمعت ، حتّى التقينا ليلا على قدر .

مازال طرفي يحار، إذ نظرت ، حتى رأيت النّقصان في بصري .

أبصرتها ليلة و نسوتها ، يمشين بين المقام و الحجر .

بيضا حسانا ، خرائدا ، قطفا ، يمشين هونا كمشية البقر .

قد فزن بالحسن و الجمال معا، و فزن رِسلاً بالذل و الحفر .»[24]

يبدو عمر بن أبي ربيعة في غزله مصورا ماهرا ، ينشد كل ما هو حسن جميل ، و كل ما هو جذّاب فاتن ليشبع هوى نفسه و ليمتع دقيق حسنه ، و يقول في موضع آخر :

24- عمر بن ابي ربيعة : الديوان ، ط1 ، دار صادر ، بيروت ، 1998 ، ص 168 .

« سلام عليها ما أحبت سلامنا فإن كرهته فالسّلام على الأخرى . »[25]

و هذا دليل على أنّ الشاعر اتّخذ أكثر من حبيبة لنفسه ، يستطيع الاستغناء عنها وقت ما شاء و استبدالها بأخرى ، و المهم إشباع لذّته و هواه .

ثالثا : الغزل الفني (التّقليدي) :

و سمّي كذلك لأنّ فيه شيئا من تقليد شعراء العصر الجاهلي ، يكثر فيه الوقوف على الأطلال أي افتتاح القصائد بالمقدمة الطللية الغزلية ، و اتّبع الشاعر فيه نهج القدامى في النّظم ، و كان من أبرزهم : جرير ، الفرزدق ، و كان غرضهم هو الإبداع و الفن و ليس التعبير عن مرارة الحب و وهج الشّوق .

يقول الفرزدق : « ألما على أطلال سعدي تسلم دوارس لما استنطقت لم تكلّم .

وقوفا بها صحبي عليّ و إنّما عرفت رسوم الدار بعد التّوهم .

يقولان : لا تهلك أسًا و لقد بدت لهم عبرات المستهام المتيّم .

فقلت : لم تعذلوني فإنّها منازل كانت من نُوَارَ بمعلم .»[26]

عموما يمكن القول أنّ شعراء العصر الأموي أقبلوا على الغزل ، و كثر نظمهم فيه ، و استهوى العرب الإتستماع به ، و آثروه عن باقي الأغراض الشّعرية الأخرى .

د. الغزل في العصر العبّاسي :

نحا الشعر في العصر العبّاسي نحوًا لم ينحه في العصر الأموي ، بسبب تحسّن ظروف العربي أكثر مما كانت عليه إذ أصبح في حال من التّرف و الغنى و الثّروة ، و أصبح

25- نفسه ، ص 207 .

26- الفرزدق :الديوان ، ط1 ، دار صادر ، بيروت ، 2006 ، ص 373 .

العربي في حال من الملك و السّياسة و ازدهر في شتّى مجالات العلوم من بينها الشعر ، و قد أدّى اختلاط العرب بالأعاجم ، و سيطرة الأعاجم على مظاهر الحكم و العيش و حتّى الأدب إلى تأثّر الشعر بكل هذا فنما الغزل الماجن و نظم فيه الشّعراء بكثرة إذ « ضعف أثر الدين و الأخلاق ، وشاع الفسق بين العامة و الخاصة ، فتعدى الغزل حدوده التقليدية و فقد الحب قيمته الحقيقية ، انطلق الشعراء يتغزّلون بجرأة كبيرة جعلتهم يسخرون من كل القيم و من كل الشعراء العذريين .»[27]

بالإضافة إلى ظهور نوع آخر من الغزل و هو الأكثر انحطاطا و فجورا ، و هو الغزل الغلماني أو ما يعرف بالغزل بالمذكر ذلك أنّ « الشعراء الذين أوغلوا في المجون لم تعد ترضيهم المرأة فلجأوا إلى الشذوذ والتّغزّل بالغلمان الذين كانوا يعملون سقاة في دور اللّهو و معظمهم الفرس والرّوم .»[28]

إنّ الترف الذي كانوا يتنغمون به دفعهم إلى الفجور و البعد عن القيم الدينية و التعاليم الإسلامية فانحلت أخلاقهم و أصبح التغني بالفتية سمة أغلب أشعارهم ، ظنًّ منهم أن الفسق دليل الحضارة.

و لكن بالرغم من ذلك ظلّ الشعراء يبتعدون على هذا النوع في قصائدهم الرسمية ، وهناك شعراء حافظو على قدر كبير من الغزل العفيف ، رغم قلّته لأنّ أسبابه لم تعد قائمة ، كما أن بدايات القصائد الغزلية عندهم تكون بوصف القصور و مجالس اللّهو ، و إخوان السمر أو بوصف الخمر و ما يتّصل بهذا الوصف ، و هؤلاء الشعراء من أصل فارسي ، حيث أثّرت البيئة الفارسية و الأعجمية على شعرهم ، فسموا بالموالي أمثال : بشّار بن برد ، و

27- سراج الدين محمد : الغزل في الشعر العربي ، ج4 ، دار راتب الجامعية ، بيروت ،(د.ت)ص 45 .
28- نفسه ، الصفحة نفسها .

أبو نواس ، و ابن الرّومي ، و أبو العتاهية ، و مسلم بن الوليد ، و حسين بن الضّحاك ، و سلم الخاسر و حمّاد عجرد و غيرهم.....

عاب هؤلاء خاصة بشّار بن برد و أبو نواس على الشعر العربي البدء بوصف الأطلال و بقايا الديار ، و دعوا إلى وصف الخمر و مجالس اللّهو و قد « عاشر أبو نواس الخمر حتى أصبحت حاجة من حاجات نفسه لا يستطيع أن يحيا بدونها ، و قد كانت واسطة لتذكر المحبوب و إثارة الشّوق ، فأصبحت عند أبي نواس المحبوب نفسه ، فتلازمت خمرياته و غزلياته و أصبحت ممارسة الشرب عنده نوعا من الوصال . »[29]

و لذلك كان الغزل الخمري من أقوى فنون الشعر و أكثرها انتشارا و ذلك لخلوه من التّوسّل للمحبوب و الهجر و الشكوى ، التي يعاني منها الشعراء العذريون ، أو الغزل بالمرأة عامة ، لذلك كان حبّهم للخمر مرتبطا بحبهم للذة ، لذّة شرب الخمر ، و لذّة الحب سواء ، و وصفوا الخمر في دنانيها ، و في كؤوسها ، كما و صفوا السّاقي و مجالس الشرب ، و ما يقع فيها من هذر ، و هزل و عبث و مجون .

يقول بشار بن برد متغزّلا بالخمر :

« يا بن موسى اسقني و دع عنك سلمى إنّ سلمى جمي و في احتشام .

رُبَّ كأس كالسلسبيل تغلل ت بها و العيون نيام .

حبست للشراة في بيت رأس عنّقت عانسا عليها الختام .

نفحت نفحة فهزّت نديمي بنسيم و انشّق عنها الزكام.

و كأنّ المعلول منها إذ را ح شبح في لسانه برسام .

29- عروة عمر: الشعر العباسي – و أبرز اتجاهاته و أعلامه – ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2010، ص118، 119.

صدمته الشمول حتى بعينيـ ـه انكسار و في المفاصل خام .

و هي باقي الاطراف حيّت بها الكأ س ، و ماتت اوصاله و الكلام .

و فتى يشرب المدامة بالما ل و يمشي يروم مالا يرام .

أنفذت كأسه الدنانير حتى ذهب العين و استمر السوام .

تركنه الصهباء يرنوا بعين نام انسانها و ليست تنام .

جنّ ما شربه تغَلَّ بأخرى و بكى حين سار فيه المدام . »[30]

أسرف بشّار بن برد في و صف الخمر ، و فضّلها و جعلها قريبة من نفسه أكثر من المرأة.

في حين أنّ العرب الأصليون أي الذين نشئوا من أصل عربي لم ينهجوا هذا النّهج لأنّهم عرب يحافظون على تراثهم الأدبي و يدفعون عنه الطغيان الذي وفد عليهم عن طريق الفرس و سائر الأعاجم و من هؤلاء الشّعراء : أبو تمّام و المتنبّي و البحتري ، و المعرّي و العبّاس بن الأحنف ، و علي بن الجهم ، و ابن خفاجة ، وابن هانئ ، و غيرهم .....

إذ ابتعدوا عن التغزّل بالمذكّر و وصف الخمر ، و نظموا غزلهم في أوّل القصيدة سيرا على نهج شعراء العرب الأوائل ، و سمي هذا بالغزل الصناعي أو الفني ، أي أنّ الشاعر يأتي باللّفظ العذب و المعنى الرّائع ، دون أن يملأ الحب قلبه ، و دون أن يقصد بقوله هذا امرأة بعينها ، شغف بها حبا فهو هنا بغرض إشباع عواطف الناس لما يعرفه من ميلهم لشعر الغزل ، و أنه قريب إلى نفوسهم لأنه حديث عن المرأة .

30- بشّار بن برد: الديوان ،(تق: محمد الطاهر بن عاشور) ، ج1 ، عاصمة الثّقافة العربية ،الجزائر، 2007 ، ص 349 ، 350.

يقول أبو تمّام :

« البين جرّعني نقيع الحنطل و البين أثكلني و إن لم أكن أثكل .

ما حسرتي أن كدت أقضي إنّما حسرات قلبي أنّني لم أفعل .

نقّل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحبّ إلاّ للحبيب الأوّل .

كم من منزل في الأرض يألفه الفتى و حنينه أبدا لأوّل منزل . »[31]

كان الغزل الصّناعي يشبه الغزل العفيف في عذوبة ألفاظه و رقّة معانيه ، غير أنّ الغزل العفيف يصدر عن عاطفة صادقة ، و حسٍّ جيّاش هدفه التعبير عن تلك المشاعر الملتهبة في حين أنّ الغزل الصناعي لا يمثّل حبّا خالصا ، إنّما هدفه الإبداع اللّفظي و الفنّي .

و أمام هذا الغلو في الغزل و حياة الترف التي عاشها الشاعر العبّاسي ابتعد بعضهم عن القيم الأخلاقية و الأصول العربية ، و المبادئ الدّينية الإسلامية ، ظهرت مجموعة من الشّعراء نهجوا نهجا آخر بعيدا عمّا ابتدعه شعراء عصرهم و هو النّهج " الصّوفي " الذي كان يدعو في بدايته إلى التمسّك بالقيم الدّينية و الأخلاقية ، و الابتعاد عن الانغماس في ملذّات الدنيا و شهواتها ، ثمّ تطوّر هذا النّهج و أصبح ما يسمّى " بالعشق الإلهي " أي التّغزّل بالذّات الإلهية ، و ذهب هؤلاء المتصوّفون إلى ذكر صفات الإله ، و التغزّل بها ، و ذكر محاسنها ، و الانغماس في حبّها ، و نشأ ما يسمّى بالارتباط الرّوحي بالله ، و هجر هؤلاء ملذّات الحياة و شهواتها و استأثروا الغوص في حب الله الذي أصبح كلّ شغلهم ، و سكروا في حبه إلى درجة عدم الشّعور بمن حولهم ، و من أشهر هؤلاء الشعراء ، " رابعة العدوية " ، و " الحلاّج " .

31- أبو تمّام : الديوان ، (تق ، شاهين عطية) ، ط3 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2003 ، ص 463 .

يقول الحلاّج :

« طلعت شمس من أحبُّ بليل فاستنارت فما لها من غروب .

إنّ شمس النّهار تغرب باللّيـ ـل و شمس القلوب ليس تغيب .

من أحبَّ الحبيب طار إليه اشتياقا إلى لقاء الحبيب . »[32]

و يقول أيضا :

« الصّبُّ – ربِّ – مُحِبُّ نوالُهُ منك عُجْبُ ؟

عذابه فيك عذب و بعده عنك قرب .

و أنت عندي كروحي بل أنت منها أحبُّ .

و أنت للعين عين و أنت للقلب قلب .

حسبي من الحب أني لِما تُحِب أحُب . »[33]

هـ. <u>الغزل في العصر الحديث</u> :

بعد تطوّر الغزل و الأدب عامة في العصر العبّاسي ، جاءت عصور لم تكن زاهدة على الأدب بل كانت جامدة و فقيرة و مقفرة لجمود الحياة العربية في تلك الفترة ، إذ كانت هناك فترة من الضعف و الانهيار و التّدهور السياسي و الاجتماعي ، و بالتالي تدهور الأدب و انحطاطه ، و في مثل هذه البيئة و هذا الانحطاط لا تعيش حياة الغزل التي تنعم برقة العواطف ، و رهافة الحس ، و صدق المشاعر ، التي كانت باسمة ناعمة ، مشرقة الجبين ، و ضّاءة الخيال ، حتّى جاء العصر الحديث و هبّ على بلاد العرب نسمة من

32- الحلاّج : الديوان ، (تق : سعدي ضنّاوي) ، ط3 ، دار صادر ، بيروت ، 2008 ، ص 28 .

33- نفسه ، الصفحة نفسها .

اليقظة و البعث و الحياة ، و التطلّع إلى معالم الحضارة الغربية وجد العالم العربي العالم في رقيّ و حضارة ، و علم و فن و أدب ، لذلك كان لابد عليه من النّهوض و التحليق في سماء الحضارة ، بعد أن تأثّرت بلاد الشرق بالمدنية الأوروبية ، خاصة بما توافد إليها من مدارس و أساتذة و بعثات علمية و كتب و صحافة ، ما أدّى بالأمة العربية إلى التطور و الازدهار من جديد في شتّى الميادين بخاصة الأدب ، و تهافت العرب على الأدب الغربي يترجمونه و يدرسونه و يستنبطون منه ، متأثّرين بجمال أدبهم من جهة و رقيّهم من جهة أخرى .

و كان الغزل من الأغراض الشعرية التي زادت تطورا ، و ذلك لأسباب منها بيئة العربي الجميلة و الفسيحة ، و طبعه الذي تروقه مثل هذه الأغراض ، بالإضافة إلى اختلاط الرجل بالمرأة خاصة بعد خروج المرأة من بيتها ، و المناداة بحريتها ، و كذا حياة الترف التي عاشها العربي آنذاك من حب الغناء الذي احتل منزلة كبيرة في نفسه ، و كان الغزل مادته فاستهوى نفوسهم و سيطر عليها و أطرب أفئدتهم و أبهجها .

هذه الأسباب و غيرها دفعت الشاعر العربي الحديث إلى النظم في الغزل ، و من الأغراض البارزة في هذه الفترة كذلك ، الغزل الصناعي أو الفنّي الذي بقيت شمعته متّقدة لما يحمله من قوة التأثير في المتلقّي ، يقول حافظ إبراهيم في مطلع قصيدة يمدح فيها محمود سامي البارودي :

« تعمدت قتلي في الهوى تعمدا فما أثمت عيني و لحظة اعتدى .

كلانا له عذر فعذري شيبتي و عذرك أني هجت سيفا مجرّدا .

هوينا فما هنَّ كما صان غيرنا و لكننا زدنا مع الحب سؤددا . »[34]

34- حافظ إبراهيم : الديوان ، ط2 ، ج1 ، دار صادر ، بيروت ، 1989 ، ص 12 .

يتضح من خلال هذا شغف الشاعر الحديث إلى النظم في غرض الغزل حتّى و إن لم يكن هو الغرض الأساس في القصيدة .

كما عرف الغزل الماجن بل عرف بكثرة نتيجة اختلاط العرب بالغرب ، و نتيجة تأثير المدنية الغربية في المدينة الشرقية ، التي كادت تجرّد العربي من أصالته ، و كان غزلا فاحشا لا يمت للأخلاق بصلة .

إلى جانب هذا وجد الغزل الصّادق البريء ، ذي العاطفة الملتهبة ، و القلب المرهف « نتيجة لقاء الفتى بالفتاة ، الفتى الشاعر ، و الفتاة الفاتنة ، عرف كلاهما الآخر ، امتزجا عاطفة و قلبا و روحا ، فهام كلاهما بالآخر ، أمّا هو فترجم عن هيامه بقافيته و ألحانه أمّا هي فأذكت فيه الحسّ حتى أصبح رائعا ، و أذكت فيه القلب حتى أصبح يخفق خفقة الغرام الغرام الذي لا يعرفها إلاّ هي و لا يتحدّث إلاّ عنها و عن حبّها و دلّها و حسنها . »[35]

و بالتالي كان حبا صادقا يتبادله الطرفان ، نابع عن عاطفة جيّاشة مفعمة بالود و الإخلاص للطرف الآخر .

و معظم الشعراء في العصر الحديث « تبنوا الغزل العفيف ، و سخوا بحبهم و اتّخذوه زمرا للوجدانيات ، فربطوا الحب بالإحساس بالطبيعة كما ربطوه بأسرار الوجود .»[36]

كما وجد نوع آخر من الغزل و هو المسرحي ، و ذلك بتأليف روايات مسرحية شعرية نثرية ، كان للغزل حظ فيها ، و من هذه الروايات الشعرية : " مجنون ليلى " ، " كليوبترا " لأحمد شوقي " عباسة " لعزيز أباظة ، و " عفراء " لفايد العمروسي و غيرها ....

35- حسّان أبو رحاب : الغزل عند العرب ، ص 278 .

36- سراج الدين محمد : الغزل في الشعر العربي ، ص 12 .

علاوة على هذا نجد أنّ دلالة المرأة قد تغيّرت في هذا العصر ، حيث أصبحت ترمز لأشياء أخرى غير الرمز الذي عهدناه ، و أصبح الشاعر العربي يعبّر عن مختلف توجهاته خاصة السياسية منها عن طريق التغزّل بالمرأة ، و ذلك بغية ما وراء هذا القناع ، نتيجة القيود التي فرضت عليه خاصة من طرف الاستعمار ، فمثلا نجد محمود درويش يجعل المرأة و الأم هي فلسطين ، حيث يتفنّن في وصفها ، و يعبّر عن مختلف مشاعره اتجاهها بكل حرية ، كما نجد كذلك الشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة قد نحى هذا المنحى من خلال قصيدته " أين ليلاي " يقول فيها :

« أين ليلاي أينها حيل بيني و بينها .

هل قضت دين من قضى في المحبّين دينها .

أصلت القلب نارها و أذاقته حينها .

مذ تعرفت سرّها و تعشّقت زينها .

روّعتني ببينها لا رعى الله بينها .

فتعلّقت بالطيو ف اللّواتي حكينها .

و تلّلت بالمنى قتبيّنتُ مينها .»[37]

فللوهلة الأولى يخيّل أنّ محمّد العيد آل خليفة يتغزّل بفتاة شغفته حبا ، اسمها " ليلى " و لكن الحقيقة هي أنّه لا يقصد فتاة بعينها ، و إنّما يقصد الحرية التي شغلته و شغلت الشعب الجزائري و هذا ما يسمى بالغزل السياسي .

و كذلك " بدر شاكر السيّاب " في قصيدته " أنشودة المطو " يقول فيها :

37- محمد العيد آل خليفة : الديوان ، دار الهدى ، عين امليلة ، الجزائر ، 2010 ، ص 41 .

« عيناك غابتا نخيل ساحة السِّحر .

أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر .

عيناكِ حين تبسمان تورق الكروم .

و ترقص الاضواء...كالاقمار في نهر .

يرجه المجداف و هنا ساعة السِّحر .

كأنّما تنبض في غوريهما النجوم .»[38]

و هنا كذلك يخيّل أنّه يتغزّل بفتاة و ينعتها بأجمل النعوت و أرقّ المعاني ، و لكن في حقيقة الأمر هو لا يقصد فتاة بعينها إنّما قصد وصف حدائق بابل المعلّقة ، و نهري الدجلة و الفرات .

الشاعر العربي في هذه الفترة حلّق بالغزل بعيدا عن منظوره الحقيقي لأنّه رأى في التغزّل بالمرأة الوسيلة الوحيدة لعكس مختلف توجهاته و أفكاره بطريقة رقيقة و ألفاظ عذبة .

هذا عموم الغزل في العصر الحديث و الذي نحا منحى لم تعرفه العصور السّالفة .

38- بدر شاكر السيّاب : الديوان ، ج1 ، دار العودة ، بيروت ، 1997 ، ص 474 .

III. الأدب المهجري :

1- المهجر لغــة :

يرى ابن منظور أن المهجر من الفعل هاجر يهاجر.

أي « هجر : الهجر و هو ضد الوصل ، هجره يهجره هجرًا و هجرانا بمعنى صرمه .

و الهجرة هي الخروج من أرض إلى أرض ، و هجر الشيء ، و أهجره بمعنى تركه .»[39]

و معنى ذلك أنّ المهجر يتّخذ معنى الهجر و هو التّرك و الابتعاد ، و كما أطلق على مجموع الشّعراء الذين تركوا و ابتعدوا عن وطنهم .

2- ماهية الادب المهجري :

يتّخذ الأدب المهجري معانٍ عدّة نظرا لتعدّد أوجه نظر النقّاد و الباحثين ، فقد نشأ الأدب المهجري في بيئة غربية و اتّجه توجّها خاصا به ، حيث جدّد شعراء المهجر في القصيدة شكلا و مضمونا ، و هجروا الأغراض القديمة ، لذلك يحقّ لنا أن نقول أنّ الادب المهجري « هو كل ما أبدعته عبقريات الشعراء الذين عاشوا في المهاجر الشمالية ، و هؤلاء كانوا يسمون بشعراء " الرابطة القلمية " و من أفذاذهم : " جبران خليل جبران " ، " أمين الريحاني " ، " مخائيل نعيمة " ، " إليا أبو ماضي " ، " نسيب عريضة " ، و " رشيد أيوب " و غيرهم ..... .

كما يتمثّل في كل ما أبدعته عبقريات الشعراء الذين استوطنوا مهاجر الجنوب أيضا و كانوا يسمون بشعراء " العصبة الاندلسية " و من افذاذهم : " الياس فرحات " ، " رشيد سليم

39- ابن منظور : لسان العرب ، ج15 ، ص 28 ، و ما بعدها .

الخوري " ، " شكر الله الجر " ، " فوزي شفيق " ، و " رياض المعلوف " و غيرهم..... . »[40]

و معنى هذا أنّ الأدب الذي أنشأه العرب الذين هاجروا من بلاد الشام إلى أمريكا الشمالية و الجنوبية ، و كوّنوا جاليات عربية و روابط أدبية أخرجت صحفا و مجلاّت تهتم بأدبهم و شؤونهم .

3- عوامل ظهور الأدب المهجري :

أ. العامل السياسي :

يعد هذا العامل من أهم العوامل التي دفعت الشعراء إلى الهجرة و ترك أوطانهم ، و البحث عن حياة أفضل يسودها الهدوء و الاستقرار ، فقد شهد العالم العربي أواخر القرن التاسع عشر ، ترديا في الأوضاع السياسية و نجد ذلك في خضوعه للاستعمار التركي و ما جرّه عليه من الويلات ، « فقد كانت الحكومة التركية حكومة جائرة ، تباع فيها المناصب و تشترى و يتسرب الاهمال في كل أعمالها ، و حياة أي فرد من الرعية رهن بنزعات الحاكم فقد تزهق الأرواح بلا اكتراث لأتفه الأسباب ، و تميز حكم عبد الحميد الثاني (1876 1909) ، بالإضافة إلى هذا الإرهاب بنظام التجسّس ، فنشأ بذلك نظام اصبح فيه الجواسيس الذين استخدمهم السلطان لتحقيق أهدافه السياسية يؤلفون طبقة حاكمة كبيرة المكانة ، و ربما كانت الطريقة الوحيدة للنجاة و هي تقديم الرشوة إليهم في حينها .»[41]

و بذلك كانت النفوس كالسلعة تباع و تشترى ، و طغت المادة و صعب العيش في بيئة كهذه بيئة لا تجرّ إلاّ الخراب ، و لا ينعم اهلها بالأمن و الطمأنينة .

40- عبد الحكيم بليغ : التجديد الشعري في المهجر بين النظرية و التطبيق ، ط1 ، مكتبة الشباب و دار الزينة للطّباعة ، بيروت ، (د.ت)ص 23 ، 24 .

41- شعبان عبد الحكيم محمد : حركة الشعر العربي في المهجر ، ط1 ، دار العلم و الإيمان للنشر و التوزيع ، مصر ، 2012 ، ص 13 .

بالإضافة إلى الاضطهاد التركي و كذا البريطاني ، و هناك عوامل أخرى منها عصبية الحكم السياسي و همجيته في تسيير أوضاع البلاد ، حيث كانت « الضرائب الباهظة التي كان يفرضها على المواطنين العرب ، و الأعمال الوحشية التي كان يرتكبها المواطنون الأتراك بدون رحمة أو انسانية أو شفقة ، ممّا دفع النفوس التوّاقة إلى الحريّة أن تلتمس لأصواتها الحبيسة و أفكارها السجينة منبرا حرا تعلن من فوقه ثورتها على الظلم و الظالمين و ذلك يتّضح فيما بعد في ثورة المهجريين على نظام الاستبداد الفاسد و سيطرة رجال الدين المسيحي ، واستغلال الإقطاعيين ، و الدعوة على الوحدة الوطنية و القومية العربية و نبذ العصبيات الإقليمية و الدينية و السياسية ، و إلغاء الفوارق الطبقية . »[42]

و بذلك أحس العربي بنوع من الخوف و الهلع و عدم الاستقرار ، فضاعت أحلامه ، و كبتت حريته و صمت بريقه ، فثار ضد هذا الحكم و نادى بحريته ، و حرية شعبه بالتحرّر من الحكم الإقطاعي الاستبدادي الجائر .

يقول شكر الله الجر :

« إيه لبنان يشهد الله أنا ما هجرناك عن قِلى و صلابة .

إنّما أصبح المقام بأرض الأرز للحر ذلة و معابه .

كيف لا يهجر الأبيُّ مكانا ملأ اليأس جوّه و رحابه .»[43]

في هذه الأبيات يتّضح أنّ الذي دفع الشاعر إلى الاغتراب عن بلده هو ما مني به من الذل و سوء الحال ، لأنّ الحرّ لا يستطيع أن يعيش في مكان أطبق عليه اليأس من كل

42- صابر عبد الدايم :أدب المهجر –دراسة تحليلية تأصيلية لأبعاد التجربة التأملية في الأدب المهجري ، ط1 ، دار الكتاب الحديث القاهرة ، 2010 ، ص 27 .

43- شكر الله الجر : الروافد ، ري ودي جانيرو ، 1934 ، ص 55 .

ناحية ، و جعله رهينة للحزن و الحسرة ، و سجين العبودية الاستعمارية ، بل نجده يتطلّع إلى حياة أرقى و أحسن .

ب. <u>العامل الاقتصادي</u> :

إنّ الاضطراب السّياسي الذي عاشته البلاد العربية لازمه تدهور الوضع الاقتصادي و الاجتماعي و بالتالي سوء الأحوال و خراب الاقتصاد ما أدّى إلى انهيار الدولة و ضعفها في جميع المجالات و بالتالي تدهور الحياة المعيشية و صعوبتها ، فأصبح العربي يعاني الكثير من اجل كسب قوته ، و قد نعتت الدولة العثمانية بالرجل المريض و ذلك في عهد السلطان عبد الحميد « فقد دبّ الضعف و استشرى الظلم ، و ساد نظام الإقطاع الزراعي ممّا خوّل للإقطاعي أن يمص دم الفلاّح و يستغلّه استغلالا مرذولا ، و الملتزم يستغل صغار الملاّك ، و يرهقهم بالضرائب الباهظة التي تزيد عن محصول الأراضي ، ممّا يضطر الفلاّحين إلى الهرب ، أو بيع الأراضي ، و الباشا الحاكم يضغط على الملتزمين و الإقطاعيين ، و يقف إلى جانبه من أجل عائدات أكبر لأنّه مسؤول أمام السلطان مباشرة الذي يريد أموالا كثيرة للإسراف على الدولة و مؤسساتها العسكرية . »[44]

إنّ سيطرة نظام الإقطاع على حياة الفلاّح و إرهاقه بالضرائب و استغلاله بأبشع الطرق و أصبح بمثابة آلة تنتج و فقط ، أدّى ذلك إلى انهيار الفلاّح معنويا ، و البحث عن بلاد أخرى تكتنفه و تقدّر جهوده و كان هذا الفلاّح يعيش في خضم هذا الصّراع ، و في كنف الفقر و الجوع ، و في الوقت نفسه كان يسمع عن البلاد البعيدة التي تذر بالخيرات ، و تؤمن بالحريات التي حرم منها في بلاده.

44- شعبان عبد الحكيم محمد : حركة الشعر العربي في المهجر ، ص 14 .

و يؤكد الاستاذ أنيس المقدسي على هذا القول فيقول : « و كان الباعث الأكبر على المهاجرة هو اختلال الأحوال الاقتصادية في السلطنة العثمانية ، بفساد الحكومة الاستبدادية حتى تضغضغ الزمن و سادت الفوضى ، و درس العلم و ثقلت المعيشة .»[45]

بمعنى أنّ هذا الضيق الاقتصادي الذي كان يعيش فيه العربي من فقر و حرمان لم ينفع في استدراكه أو التقليل منه ، جهد و لا نشاط ، في ظل هذه الحكومة الجائرة الغاشمة التي تنهب الارزاق و تهدد الأرواح .

ج. **عامل تاريخي قديم** :

عرفت الهجرة منذ القدم ، فهي ليست بالأمر الجديد على السوريين و اللّبنانيين ، فقد انزاح العربي عن بلاده المضطربة ، التي شهدت التردي و الضعف في أوضاعها ، حيث كان دائم التطلّع و البحث عن حياة أرقى و أحسن منذ نشأته ، و كان دأبه الحل و الترحال و التجوال في آفاق الأرض و هو أمر ورثه عن أجداده الفينيقيين .

يقول الأستاذ صرف : « إنّ الغريزة التجارية التي ورثها السوري عن أسلافه الفينيقيين ، و فقر بلاده ، و الأحوال السياسية فيها في أثناء الحكم العثماني حملته إلى أربعة أقطار المعمورة ، و لا يضير السّوري أو اللّبناني أن يهاجروا إلى أي مكان يستطيع أن يجد فيه اليسر و الرّخاء و الاطمئنان الحيوي ، و الأمن على النفس و المال ن لأن حب الهجرة و الاغتراب و حب السعي في الأرض و حب التّجارة و العمل من أجل الحياة كله كالغرائز المتأصّلة في نفسه العميقة في مسار دمه .»[46]

45- صابر عبد الدايم : أدب المهجر ، ص 28 .

46- الدايم : أدب المهجر ، ص 28 .

د. <u>عامل ديني</u> :

ساهم العامل الديني مساهمة كبيرة في الهجرة ، نظرا للتعصّب الديني الممارس ضد الشعب العربي و النزاع الطائفي و الصّراع حول السّلطة ، و بالتّالي تردّي الأوضاع و اضطراب الحياة يقول الدكتور خفاجي « و لا نستطيع أن نغفل العقيدة و أثرها الفعّال في التشجيع على الهجرة ، إذ أنّ بعض المتدينين الأوروبيين الذين كانوا يؤمون بيت المقدس كانوا يعودون إلى بلادهم ببعض الأصواف المصنوعة في فلسطين و بكثير من الأيقونات و المسابح و الشارات الدينية المختلفة ، و قد أحذق أولئك الأتقياء الأوروبيين بعض ذوي النباهة و الحذق في فلسطين للاتجار بتلك الأشياء و نقلها إلى أوروبا و بيعها للمؤمنين فيها.»[47]

لذلك و رغم المضايقات الدينية التي عرفها الشاعر المهجري في بلاده أو في بلاد المهجر ، و التي دفعته للهجرة ، إلاّ أنّه بقي متمسّكا بدينه و نجد هذا بخاصة في بعض تأملاتهم في الوجود و تشاؤمهم من الحياة و اضطرابهم النفسي ، حتى أنهم في بعض الاحيان يقنطون من رحمة الله ، و يضيقون بذلك كله درعا ، إلاّ أنّهم في نهاية المطاف يتوبون إلى الله متضرعين إليه كي يغفر لهم ذنوبهم ، و هذا دليل على الصّلة القوية بين الشاعر و دينه .

يقول إبراهيم ناجي طالبا توبة من ربه ، بعد ان تكدّست الصور السوداء في قلبه و مخيّلته و استسلم لآلامه ، و يأس من رحمة ربه : « يا رب غفرانك إنّا صغار .

ندبٌ في الدنيا ديب الغرور .

نسحب في الأرض ذيول الصَّغار .

47- صابر عبد الدايم : أدب المهجر ، ص 30 .

و الشّيب يا ديب لنا و القبور .»[48]

هـ. <u>عامل الصدفة</u> :

يعد هذا العامل نادرا جدا رغم مساهمته في الهجرة ، حيث يرجع العديد من الشعراء أسباب هجرتهم إلى عامل الصدفة ، لأنّ وجودهم في تلك البلاد ليس بغية البحث عن العيش الرغيد و الحياة الهادئة الكريمة ، و الهروب من الأوضاع المزرية ، و إنّما وجدوا هناك صدفة لا غير ، و يتّضح ذلك خاصة من رسالة أرسلها الشاعر رياض المعلوف مجيبا عن سؤال وجِّه إليه حول البواعث التي دفعته للهجرة ، يقول « ...هي الصدف ليس إلاّ ... و زرت صيف 1939 باريس و بعدها اتجهت إلى معرض نيويورك العالمي ، حيث شهدت عظائم الحضارة و المبتكرات الحديثة ، و اجتمعت بأعضاء الرابطة القلمية " ايليا أبو ماضي ، ليم كاتسفليس ، رشيد أيّوب ، عبد المسيح ندرة حداد ، اسكندر البيازجي....." و غيرهم ، و شاء القدر أن تعلن الحرب العالمية الثانية و أنا في نيويورك ، فذهبت إلى البرازيل لزيارة إخوتي فيها " اسكندر و شفيق و ادمون ، و أختي أفلينة " و أخوالي و أعمامي فوصلتها إلى منتصف أكتوبر 1939 ، و من الصدف ايضا أنّني تركت البرازيل إلى لبنان عائدا بالتاريخ نفسه 1946 .»[49]

و بالتالي فإنّ طابع الهجرة غريزة في الإنسان ، متأصّلة فيه منذ القدم ، و هي تعد أمرا وراثيا حيث تعوّد أجداده الفينيقيين على حياة الأسفار و البحث عن حياة الرّقي و الازدهار .

يتضح من خلال هذا أن سبب الهجرة عند رياض المعلوف هي الصدفة لا غير ، و ربما كان هذا بسبب الحياة الهادئة التي كان يعيشها ، من نفسية مستقرة و عيش رغيد .

48- إبراهيم ناجي : الديوان ، دار العودة ، بيروت ، 1987 ، ص 365 .

49- صابر عبد الدايم : أدب المهجر ، ص 30 .

إنّ أسباب الهجرة لم تكن بحثا عن حياة راقية فحسب بل كذلك هروبا من الظلم و الطغيان ، و الحياة المتدنية التي كانت تعيشها بلاد الشام ، و البحث عن الحرية التي افتقدها الشاعر في موطنه و قد صوّر الشعراء بواعث الهجرة في الحرية و الكرامة و الطموح.

و يوضح ايليا أبو ماضي أسباب الهجرة إذ يقول :

« لبنان لا تعذل بنيك إذا هم ركبوا إلى العليا كل سفين .
لم يهجروك ملالة ، لكنهم خلقوا لصيد اللّؤلؤ المكنون .

ورثوا اقتحام البحر عن فينيقيا أم الثقافة مصدر التمدين .

و النسر لا يرضى السجون و إن تكن ذهبا فكيف مجالس من طين .

و الأرض للحشرات تزحف فوقها و الجو للبازي و الشاهدين .»[50]

يبرز ايليا أبو ماضي من خلال هذه الابيات أسباب هجرته بحيث أنّه يرفض السجن و العبودية و يتطلّع إلى الحرية .

50- ايليا أبو ماضي : الديوان ، دار العودة ، بيروت ، (د.ت) ، ص 56 .

4- خصائص الأدب المهجري :

ثار شعراء المهجر على النموذج القديم للقصيدة التقليدية ، و نادوا بضرورة التغيير و التحرّر من قيود الوزن و القافية ، وكان ذلك نتيجة التأثر الواضح بالثقافة الغربية ، لذلك كانت هناك دعوة من قبلهم للتجديد في شكل القصيدة العربية و مضمونها معبّرين من خلالها عن نظرتهم الجديدة للأدب و للحياة عامة ، و نزعتهم الإنسانية التي حاولوا نشرها في أقطار العالم كله .

و قد نادوا بضرورة تجاوز النهج القديم ، و ضرورة مسايرة العصر ، حيث أوصى أمين الرّيحاني الشعراء بقوله : « حرّروا صناعاتكم من قفا نبكي و سائق الأظعان ، إنّ عندكم اليوم الطيارات لتسوقوا النجوم .»[51]

و هي دعوة واضحة لهجر الأساليب القديمة ، و الافتتاح بأساليب جديدة ، أي هجر المقدّمة الطللية التي تعوّد الشاعر بدء قصائده بها ، و استبدالها بمقدمة جديدة .

عموما إنّ شعراء المهجر ركزوا في دعوتهم التجديدية على الشكل و المضمون :

1- من حيث المضمون :

حاول شعراء المهجر التجديد على مستوى المضمون ، حيث هجروا الأغراض التقليدية و المضامين الشعرية القديمة ، و لجئوا إلى مضامين جديدة تواكب عصرهم و تعكس أفكارهم و توجّهاتهم المختلفة ، و لعلّ أبرز المضامين الجديدة التي ميّزت الأدب المهجري ما يلي :

51- شعبان عبد الحكيم محمد : حركة الشعر العربي في المهجر ، ص 41 .

أ. **النزعة الإنسانية :**

و تعدّ هذه النزعة أبرز ما ميّز الشعر المهجري ، فهي النظرة إلى المجتمع كله نظرة حب و رحمة و رغبة في أن يعلم الجميع و أن تنتشر المبادئ السامية ، و في أشعارهم نلمح الدعوة إلى إيجاد مجتمع أفضل تسوده القيم و المثل العليا و الرغبة في تهذيب نوازع النفس الشريرة ، و في ظل هذا الاتجاه اتّسعت نظرتهم إلى الحب و شملت الانسان و الطبيعة ، و كل الكائنات ، و أصبح الحب وسيلة السّلام مع النّفس و المجتمع ، و ذلك بغية العيش في أمان و هدوء ، فإذا ساد الحب ساد التفاهم ، و بالتالي العيش في سلام و طمأنينة ، و تراحم بين البشر جميعا مهما اختلفت الاتجاهات و الميولات و الرغبات .

يقول ايليا أبو ماضي :

« و نفس لم يشرق الحب فيها هي نفس لا تدري ما معناها .

أنا بالحب قد وصلت إلى نفسي و بالحب قد عرفت الله .»[52]

الشاعر هنا يجعل من الحب كل شيء جميل في حياته ، بل يجعله سبب وجوده ، و وجود نفسه.

و الانسانية « نظرة واسعة للحياة و للوجود ، و من معاني هذه الانسانية فيما يتعلق بالجنس البشري نشر المبادئ السامية ، و المثل العليا بين الناس و محاربة النظم التي تباعد بين الانسان و أخيه ، و العمل على خلق مجتمع مثالي يسوده العدل و الرحمة و المحبة و على تخفيف الشقاء الانساني ، و تصوير الحياة بصورة محببة إلى النفوس ، أو هي بكلمة أخرى المحبة الصحيحة لكل ما في الوجود ، بغير تفضيل ولا تفريق .»[53]

52- ايليا أبو ماضي : الديوان ، ص 785 .

53- شعبان عبد الحكيم محمد : حركة الشعر العربي في المهجر ، ص 53 .

فالإنسان أخو الإنسان ، يشكلان كلا متكاملا فإذا اتّحدا معا نشرا المبادئ السامية و الأخلاق الفاضلة ، و عمّ الأمن و الهدوء و بالتالي إنشاء مجتمع مثالي تسوده المحبة و الطمأنينة و العدالة و محاربة كل الفوارق التي من شأنها أن تبعد الإنسان عن أخيه الإنسان.

كما يكثر في أشعار شعراء المهجر النداء بـ " أخي" ، " رفيقي " و لميخائيل نعيمة قصيدة بعنوان " أخي" قالها بعد الحرب العالمية الأولى ، و قد نفض فيها يديه من أمل الرجوع إلى أرض الوطن.

يقول :

« أخي إن ضجّ بعد الحرب عربي بأعماله .

و قدّس ذكر من ماتوا و عظّم بطش أبطاله .

فلا تهزج لمن سادا و لا تشمت لمن دانا .

بل اركع صامتا مثلي بقلب خاشع دامي

لنبك حظ موتانا .....»[54]

إنّ شعراء المهجر يكثرون من تكرار لفظة يا أخي أو رفيقي في أشعارهم ، و هذا دليل على الارتباط الرّوحي بالآخر ، و الدعوة الواضحة إلى تقاسم الآلام و الأحزان التي تختلج النفس ، و هنا تبرز النزعة الانسانية في حب مشاركة الغير كل ما يعانيه الشاعر في غربته المريرة و وحشته الدفينة.

54- ميخائيل نعيمة : همس الجفون ، ط2 ، دار صادر ، بيروت ، 1952 ، ص 14 .

إنّ غنى الشعر المهجري بمختلف النزعات الانسانية لا يغفلنا عن النظر إلى نثرهم الذي حفل بالحديث عن الحب الانساني الذي ينعش القلوب و يهذب النفوس ، و يستشرق الجمال في كل أرجاء الكون ، يقول جبران في كتابه " دمعة و ابتسامة " : « ...لقد أحببتكم كثيرا و فوق الكثير ، ففي ربيع قلبي كنت أترنّم في جنانكم... قد أحببتكم جميعا جبّركم و صعلوككم أبرصكم و صحيحكم ... أحببتك أيّها القوي مع أنّ آثار حوافرك لا تزال ظاهرة في لحمي و أحببتك أيّها الغنيّ في حين أنّ عسلك كان علقما في فمي ، أحببتك أيّها الفقير مع أنّك عُرفت عاري ، و فراغ ذات يدي .» [55]

يلغي جبران خليل جبران كلّ الفوارق الموجودة بين البشر ، فهو يحب أخاه الإنسان مهما كانت منزلته الاجتماعية ، سواء كان غنيا أو فقيرا ، قويّا أو ضعيفا ، آذاه أو أحسن إليه فهو يحبه على كل حال .

إنّ هؤلاء الشعراء و الكتّاب المهجريون نظروا إلى الإنسان من زاوية واسعة ، و مسحوا كل الحدود التي من شأنها أن تبعدهم عن بعضهم البعض ، فالإنسان أخو الإنسان بغضّ النظر عن عرقه أو دينه أو لونه ، فما يجمع البشرية أكبر ممّا يفرّقها ، لهذا نبذوا العنف المرير ، و التعصّب المقيت و العدوان الكريه و الطّائفية التي اكتووا بنارها ، فجرت على الأخضر و اليابس ، لذلك نشدوا الأمن و الهدوء ، و توحدوا تحت لواء الحرية و العدالة و المساواة ، فكانت شعراهم .

ب. <u>الحنين إلى الوطن</u> :

على الرغم من أنّ الحنين إلى الوطن نزعة ظهرت منذ القدم ، منذ العصر الجاهلي مع شعراء الأطلال ، الذين بكوا الأهل و الديار ، و اكتووا بنار الغربة التي أحرقت كيانهم و نمّت قرائحهم ، إلاّ أنّ هذا الحني تبلور من جديد عند الشعراء المهجريين الذين عانوا آلام

55- جبران خليل جبران : المواكب ، دار اليقظة العربية ، بيروت ، (د.ت) ، ص 49 ، 50 .

الاغتراب و وحشة الوطن فكل حدث وطني كان يهزّ مشاعرهم ، و يفجّر قرائحهم الشعرية بقصائد تقطر صدقا ، و تتفجّر جمالا في الشوق إلى الوطن و التنغّم بذكراه و الهيام به .

يقول رشيد أيّوب :

« خلقت و لكن لكي أموت بها حبا لذلك تراني مستهاما بها وجدا .

و ما أنت ممن ترامت به النّوى تروعه الدنيا و لو ملئت رعبا .

و لكن لمى في سفح حنين موطنا يعز على أن أفارقه غصبا .

إذا ما ذكرت الأهل فيه فإنّي لدى ذكرهم أستمطر الدمع منصبا .» [56]

فرغم بعد الشاعر عن وطنه إلاّ أنّه مازال يحنّ إليه و ينشده أجمل أشعاره ، و يبثّ إليه أشواقه .

كما أنّ ذكرى الوطن عند اليا أبو ماضي تمتزج بطبع الشاعر و نغمة التفاؤل التي تملأ روعه و أشواقه ، حيث يستحضر طبيعته الغنّاء التي تريح العين و القلب و الوجدان .

يقول في قصيدة لبنان :

« اثنان أعيا الدهر أن يبليهما لبنان و الأهل الذي لذويه .

نشتاقه و الصيف فوق هضباته و نحبّه في واديه .

و إذا الصبايا في الحقول كزهرها يضحكن ضحكا لا تكلّف فيه .

وطني ستبقى الأرض عندي كلّها حتى أعود إليه أرض التيه .» [57]

56- رشيد أيّوب : الأيوبيات ، نيويورك ، 1916 ، ص 39 .

57- ايليا أبو ماضي : ديوان الخمائل ، دار صادر ، بيروت ، (د.ت) ص 80 .

و في هذا إشارة إلى قوّة التعلّق بالوطن و الاشتياق إليه ، و التغني بذكراه و تذكر هضابه و حقوله و أزهاره و تمنّي العودة إليه من جديد .

أحسن شعراء المهجر تصوير آلام غربتهم المريرة ، و مشاعر الحنين ، و جمال الموطن القادمين منه ، و عواطف المحبة له و التعلق به ، فقد صوّر الشاعر المهجري غربته النفيسة القلقة الحائرة عوض الغربة المكانية التي صورها الشاعر القديم ، فالغربة النفسية غربة معقّدة تبحث في خفايا الوجود عن وطن آمن يكتنفها .

كان الشاعر المهجري يعيش في خضم غربته ، يحتسي مرارة فراقه لوطنه ، و يبتلع علقم ابتعاده عنه ، فكانت مشاعره مرهفة شديدة الحساسية و أصبحت تلك الغربة قدره المحتوم الذي يجبره على العيش في أكناف المآسي ، التي صارت كل حياته و موضوع شعره « لذلك كان الحنين إلى الوطن قوة سارية في الشعر المهجري ، ترتكز على معنى الغربة – حقيقة و مجازا – و الغربة هي المحرك الأكبر في أشعارهم جميعا ، و كانت الغنائيات التي صدرت من شعراء المهجر خاصة بالحنين إحدى زوايا الشعر الذي صنعه الإحساس المرير بالاغتراب عن الوطن .»[58]

فالإحساس المرير بالغربة صنع أبياتا من الشعر أي أنّ الشاعر المهجري ترجم مرارة غربته بقافيته و أوزانه ، فأبدع أجمل القصائد ، و أكثرها عذوبة و رقّة .

و قد أنشد رشيد أيوب قصيدته " الآمال الضائعة " متغنيا بوطنه و معبرا عن حنينه إليه يقول :

« جلست بقرب شباكي أردد طيب ذكراك .

و أطوي بيد أحلامٍ كبت فيها مطاياك .

58– أنس داوود : التجديد في شعر المهجر ، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر ، القاهرة ، 1967 ، ص 175 .

و فيها النفس حائمة ترفرف فوق مغناك .

تفجّر في الدجى برق تلاه مدمعي الباكي .

أتراكي أخا سهو متى عهدي بلقياك .

إذا خطرت على بالي أو بقائي و إيّاك .

و رحت أعاتب الدنيا جلست بقرب شباكي .»[59]

جعلت الغربة من الشاعر حبيس الألم و المعاناة ، و رهينة الذكريات و الاشتياق حطمت قواه و جعلته مكسور الجناح لا يقوى على التحليق أينما شاء و جعلت وجهته الوحيدة " التذكر " ذكريات الوطن الحبيب و أيّام الوصال به و بالأهل و الأحباب ، و رفاق الصبا و دفئ الجماعة ، فحنين رشيد أيّوب يشبه حنين زهرة قطفت من بستانها ، و حبست في مزهرية بعيدة عن رفيقاتها الأزهار اللّواتي مازلن يعشن حياة الاخضرار ، و يستنشقن نسيم الصّفاء ، و يحيين في هدوء بين الورود و الأشجار في حين أنّ تلك الزهرة أبعدت عن أصلها و مكان ترعرعها ، فكانت تتباهى بجمالها الفتّان و أصبحت الآن مهدّدة بالموت و الذّبول و النِّسيان ، لذلك يمكننا أن نحس برشيد أيّوب و بشعر المهجر عامة ، الذي يخاطب الوجدان الإنساني ، و يحاول التغلغل في النّفس العميقة من خلال لغة خفية إيحائية لا يمكن فهمها ، إذ لم نحس بعمق هذه التجربة ، فحب الوطن و الحنين إليه مسألة مستعصية لا نجد لها تعليل ، و ما الشعر إلاّ تصوير لمآسي الفرقة ، و لوعة الاغتراب.

فالشاعر المهجري هو شاعر غامض يحن إلى وطنه بكل كيانه و وجدانه ، و عواطفه و مشاعره فالوطن بالنسبة له هو سمة وجوده ، و طابع حياته ، فأصبح الحنين إليه هو موضوع شعره ، و دليل سموه ، و رمز الوطنية بالنسبة له .

59- رشيد أيوب : ديوان أغاني الدراويش ، مؤسسة هنداوي ، القاهرة ، 2012 ، ص 13 .

ج. **النزعة التأملية** :

أحدثت الغربة إرهاقا حسيا في نفسية الشاعر المهجري ، حيث و لّدت فيه أشياء فنّية و إبداعية فالصّراع الذي عاشه الشاعر مع ذاته من جهة و مع الوجود من جهة أخرى دفعته إلى محاولة إيجاد ميلا جديد لذاته ، لذلك لجأ إلى التأمل بحثا عن الإجابة التي من شأنها أن تقنعه و تجيبه عن تلك التساؤلات التي لطالما أرّقته ، فمن واقع الشعور بالاغتراب انطلقت الرّغبة في التأمل في الوجود الإنساني كله بغية إيجاد مناخ ملائم يمكنه من التّنفس من جديد حيث « تخطّت هذه النزعة الإنسانية سياج الذاتية و الفردية ، و حطّمت حواجز الانغلاق ، و استشرقت على الوجود الإنساني كلّه ، هكذا استطاع الشعر المهجري أن يستوعب المعاني الخلفية التي تكمن خلف السياج الإنساني ، و محاولة فك رموزه و التعامل معه و له .»[60]

و قد توجه أدباء المهجر إلى ذخيرة أنفسهم يتأملون فيها ، فرارا من صخب الحياة التي تحيط بهم من كل جانب ، كما توجهوا إلى الوجود الإنساني كذلك محاولين التغلغل فيه و كشف خفاياه ، و حل شفراته المعقدة .

لذلك فكل شاعر مهجري رسم لنفسه حياة خاصة ، وفق منظوره و طريقة تفكيره و نفوره من الحياة

و قد آثر ميخائيل نعيمة « الصمت و العزلة ، و اعتصم بالجبل ... و وصفه في براعة و حب و ثورة على التنين الذي يرمز له بنيويورك ، لقد اندمج بالأفق حتى كأنّ السماء تتوكأ

60- محمد حامد شوكت و رجاء محمد عيد : مقوّمات الشعر العربي الحديث و المعاصر ، دار الجيل للطباعة ، بيروت (د.ت) ، ص 195.

عليه ، أو كأنّه عمّ قبّتها الفسيحة الزرقاء ، وإذا التصق بالسّما و قف ثابتا ساكنا كاشفا صدره لأشعة الشمس .»[61]

فميخائيل نعيمة شاعر فضّل حياة الاعتزال عن العالم الخارجي الذي يسوده الصّخب ، و ذلك بلجوئه إلى الجبل الذي يكتنفه و يعتبر مرفأ له .

كما نجد أنّ الغابة هي مرفأ الشاعر المهجري و المكان الذي يلجأ إليه لينسى بعض همومه لذلك نجده شديد التّأمل في الطبيعة و التّغني بجمالها الذي يواسيهم لنسيان آلام الحياة و قسواتها .

فشعراء المهجر في تأملاتهم كما يقول عيسى الناعوري : « يتجرّدون من طبيعة الطين و يسمون فوق الحياة و فوق البشر ، يحللون النفس الإنسانية و يصوّرونها بدقة ، و يحاولون إماطة اللّثام عن أسرار الحياة ، و في كثير من التّأملات العميقة يحدوهم الشّك...و لكنّه الشّك الباحث عن الحقيقة المتطلّع إلى تحقيق مثل إنسانية عليا خالدة...لذلك نستطيع أن نقول إنّ الأدب العربي لم يعرف الأدب التأملي... كما عرفه أدب المهجر.»[62]

كان التأمل بالنسبة لشعراء المهجر بمثابة شعاع يتسلسل ليتغلغل في أعماق النّفس البشرية ، و يحلّق بين أكناف الوجود الواسع لكشف أسراره و الوصول إلى الحقيقة .

و على الرغم من التشاؤم الذي يعيشه الشاعر المهجري ، و الفشل الذي اعتبره قدر الإنسان المحتوم ، إلاّ أنّ شرارة الأمل تبقى مشعة نتيجة نزعته الإنسانية المتبلورة ، و يعتبر ايليا أبو ماضي أكثر هؤلاء الشعراء تأمّلا و فلسفة ، شكوًا و تساؤلا ، خاصة في مسائل

61- صابر عبد الدايم : أدب المهجر ، ص 76 .

62- عيسى النّاعوري : أدب المهجر ، دار المعارف ، مصر ، (د.ت) ، ص 94 ، 95 .

الحياة و الوجود ، و نجد قصيدته " الطّلاسم " أكثر القصائد احتواءً على تلك التّساؤلات الوجودية ، حيث زاد عن مائة سؤال سأله ، يقول :

« جئت لا أعلم من أين ؟ و لكن أتيت .

و لقد أبصرت قدّامي طريقا فمشيت .

و سأبقى سائرًا إن شئت هذا أم أبيت .

كيف جئت ؟ كيف أبصرت طريقي ؟

لست أدري !

و طريقي ما طريقي ؟ أ طويل أم قصير ؟

هل أنا أصعد أم أهبط فيه و أغور ؟

أ أنا سائر في الدّرب أم الدّرب يسير ؟

أم كلانا واقف و الدّهر يجري ؟

لست أدري !»[63]

يتساءل ايليا أبو ماضي في هذه الأبيات في دهشة و حيرة ، عن كل ما يمكن أن يصادفه أمامه أو في حياته عامة ، إلاّ أنّه ينتهي إلى جواب واحد و هو "... لست أدري ؟ " و هذا دليل على الاضطراب النّفسي الذي يعيشه الشاعر و الكم الهائل من الأسئلة التي لا يجد لها جوابا .

63- ايليا أبو ماضي : ديوان الجداول ، ط3 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1987 ، ص 139 .

يتّضح أنّ شعراء المهجر نظروا بعين واحدة إلى الوجود ، حيث وقفوا متسائلين حائرين في أسراره و في ماهيته و في كنهه « فتساءلوا عن الوجود بدءً و انتهاءً ، و عن النفس حدوثا و فناءً ، و عن الزمن وقوفا و انقضاءً ، و عن الحياة سعادة و شقاءً ، و عن درب الحياة خشية و رجاءً... ، كما تساءلوا عن أعمالنا ، أنحن مجبرون عليها أم مخيّرون فيها و عن الموت ، أهو ذلك الحادث الشنيع الذي يخافه الناس ، أم هو جمال و تخلّص من الأغلال ؟ و تساءلوا عن الخير و الشّر في الحياة .»[64]

و كلّها تساؤلات فلسفية ، صعبة الإجابة ، و لم يتركوا شيئا إلاّ و غاصوا فيه يفتشون عن أسراره و أسباب وجوده ، و هي تساؤلات غاص في بحرها كل من ايليا أبو ماضي و رشيد أيّوب و نسيب عريضة و ميخائيل نعيمة و الياس فرحات و غيرهم ، كما ظهرت هذه النّزعة في الشّعر المنثور خاصة عند الرّيحاني و جبران .

هكذا أبدع الشعراء المهجريون و جدّدوا في تأملاتهم ، حيث جعلوا اللاّ معقول معقولا و المحسوس ملموسا ، و جعلوا الكون برمته في كف أيديهم ، يتأملون خفاياه و يقلبون صفحات غموضه ، تأملوا في النفس البشرية و الطّبيعة الإنسانية ، و كذا الطبيعة الكونية إلى درجة أنهم تأملوا في الذّات الإلهية ، و خلقوا ارتباطا روحيا بينهم و بينها ، ممّا جعل الشعراء المهجريون يسمون من الحياة الدنيوية في أطباق الأرض ، إلى الحياة الروحية ، في أعنان السماء ، و هذا ما جعلهم يبدعون في مجال التأمل .

64- محمد عبد الغني حسن : الشعر العربي في المهجر ، ط3 ، مؤسسة كانجي ، القاهرة ، 1962 ، ص 75 .

د. غرض الطبيعة :

سحرت الطبيعة الشعراء العرب من قديم الزمان و بهرتهم مظاهرها و أذهلتهم مشاهدها فنما خيالهم بين أحضانها و ترعرع في أجوائها و انطلق بين مروجها و أنهارها يتغنّى بجمالها الفتّان و ببراعة الخالق الفنّان ، و يبرز هذا التّأثّر الكبير خاصة عند الشاعر المهجري ، فهي ينبوع إلهام بالنسبة له ، يبث من خلالها همومه و أحزانه أو غزله و أشواقه.

و اتّخذ المهجريون من طبيعة وسيلة لتصوير أزمة نفوسهم ، و خلجاتها و مرارة عيشهم و قسوة حياتهم ، و صراعهم مع الوجود ، و القلق و الشّك الذي يسببه هذا الصّراع ، و شغفهم للحرّية التي يفتقدونها بشدة ، فاستنطقوها و عبّروا على لسانها عن مشاعرهم ، و نفّسوا عن رغباتهم المكبوتة و أحسّوا من خلالها بمشكلات المجتمع و عالجوا قضاياه بواسطتها، فكانت بمثابة المرايا المتعدّدة للشيء الواحد ، فأحسّوا بوحدة الطّبيعة ، و وحدة الوجود ، و وحدة الموجودات ، و كان « الإنسان أخ الأشجار و الأنهار أيضا ، و ابن من أبناء الطّبيعة التي تحنو عليه في أمومة رءوم ، و يحس حين يستسلم إلى ذراعيها المرحبتين و صدرها الرّحيب أنّه يولد من جديد و تعود إليه طفولته الرّوحية و براءته النّفسية .»[65]

أي أنّ الإنسان اندمج مع الطّبيعة و جاور مختلف عناصرها ، و أصبح ابنا من أبناءها فهي بالنسبة للشاعر المهجري الحضن الدافئ الذي يكتنفه ، و القلب الواسع الذي يسمعه و يشعر به فيحس بنوع من الأمن و العودة إلى عالم الطّفولة من جديد .

شخّص الشاعر المهجري الطّبيعة إلى أبعد الحدود و جعلها تشاركه همومه ، و تكلمه و تملي عليه .

65- أنس داوود : الطبيعة في شعر المهجر ، الدار القومية للطّباعة و النشر ، القاهرة ، (د.ت) ، ص 34 .

يقول ايليا أبو ماضي :

« انظر فما زالت تُطل من الثرى صور تكاد لحسنها تتكلم .

ما بين أشجارها كأنّ غصونها آنا تصفّق تارة و تسلّم .

و عيون ماءٍ دافقات في الثّرى تشفي السّقيم كأنّما هي زمزم .

صور و آيات تفيض بشاشة كأنّ الله فيها يبتسم .

فامش بعقلك فوقها متفهّما إنّ الملاحة ملك من يتفهّم .»[66]

صوّر ايليا أبو ماضي الطّبيعة في أبهى حللها ، و جعل كل عنصر من عناصرها منبع الحياة و رمزا للأمل و الاستمرار ، و جسّد جمال الله فيها ، فهي بمثابة وجهه الباسم و ابداعه الخارق .

لقد جعل الشاعر المهجري الطبيعة ملاذه الوحيد لسانه الذي يتحدّث به و أذنه التي يسمع بها و قلمه الذي يبدع به ، فهو يندمج معها و يفكّر من خلالها ، و تكشف مشاهدها عن أفراحه و أقراحه كما أنّها تحيا و تنم من خلاله ، و تشاركه معضلات حياته ، و تخفف عنه آلامه ، و ترشده و تلهمه و تدُبُّ فيه الحياة ، فيتساءل من خلالها عن مختلف شكوكه .

يقول ميخائيل نعيمة في قصيدة " من أنت يا نفسي " :

« هل من الأمواج جئت ؟

هل من البرق انفصلت ؟

أم من الرّعد انحدرت ؟

هل من الرّيح ولدت ؟

66- ايليا أبو ماضي : ديوان الجداول ، ص 119 .

هل من الفجر ابنثقت ؟

هل من الشّمس هبطت ؟

هل من الألحان أنت ؟»[67]

يصوّر ميخائيل نعيمة هذا الموقف من الطبيعة ، حيث يلتحم مع نفسه بمظاهرها التحاما كاملا و كليّا ، فيخاطب نفسه حين يراها متعلّقة بالموج و مترصّدة للبرق و مصغية للرعد و هامسة للريح ، و دائبة في ضياء الفجر و غارقة في سحر الألحان .

كانت الطبيعة عن الشاعر المهجري تجيب عن تساؤلاتهم ، فهي « مجال لطرح الشكوك و مناقشة الإشكالات الحياتية و الكونية و هو فرق جوهري بينهم و بين الرومانتيكيين الأوروبيين ، إذ أنّ هؤلاء لم يكونوا يندمجون في الطّبيعة ليفكّروا و يستخلصوا الحجج ، أو يجلوا مشكلات ، كلا ، و لكن ليحلموا و يستسلموا لمشاعرهم. »[68]

أخذت الطبيعة عند الشاعر المهجري أكثر من منحى فهي مجال للتأمل في الكون و الوجود ، كما أنّها مجال لطرح الشكوك و التّساؤلات و هذا ما جعل شعراء المهجر يتميّزون عن الرومانسيين الأوروبيين .

و بذلك كانت الطبيعة عند الشاعر المهجري رمزا لجنة ضائعة ، أو لعالم مثالي يتّصف بالصفاء و النقاء و الهدوء ، بعيدا عن عالم الصخب و الضوضاء ، حيث الحياة الصّاخبة التي تفتقد الروح و الجمال .

من خلال دراسة مظاهر التجديد في مضمون القصيدة المهجرية نجد أنّ تلك الفترة تعد مرحلة انتقالية في تاريخ القصيدة العربية ، من بروز واضح للنّزعة الإنسانية و وصفهم لوعة

67- ميخائيل نعيمة : همس الجفون ، ص 16 .

68- محمد غنيمي هلال : الرومانتيكية ، مطبعة نهضة ، مصر (د.ت) ، ص 140 .

الهجرة و وجد الشوق و الأحاسيس الإنسانية ، كما صوّر الكون و الوجود و الحياة و صوّروا ما فيه من أسرار و غموض و قوى خفية ، و وصفوا الطّبيعة الإنسانية و ذلك الإنسان الذي يحاول التفلسف و التّمرّد على الوجود ، كما أبدعوا في التّغنّي بمفاتن الطّبيعة و جمالها فكانت نزعاتهم المختلفة التجديدية بمثابة نقطة انطلاق لفهم الرّسالة الأدبية على حقيقتها .

2- من حيث الشّكل :

حاول شعراء المهجر التجديد في شكل القصيدة ، و حاولوا التّخلي على الشّكل العمودي القديم فلم يقف تجديدهم عند حدود المضمون الشعري فقط بل تجاوزه إلى الإطار الخرجي الذي ابتعد عن القالب الموروث ، و الشّكل المعهود .

أ. الوحدة العضوية :

و هي شكل جديد في الشعر العربي الذي لم يعرف مثيلا له في العصور السّالفة ، فهي تعد من الدعائم التجديدية الأولى في الشعر العربي الحديث ، و المهجري على وجه الخصوص ، فهي « لا تقف عند وحدة المشاعر و الأفكار التي تتألّف منها الرؤية الشاعرية و إنّما تتجاوز ذلك إلى وحدة الأدوات الشعرية المستخدمة في تجسيد هذه الرؤية ذات الأبعاد المتعدّدة .»[69]

بمعنى أن تكون القصيدة كالكائن الحي ، يكتمل بأجزائه ، كما يكتمل الجسد بأعضائه فتصبح بناء متماسكا ، يهمين عليه احساس واحد ، أفكارها شديدة التلاحم ، كل فكرة تمهّد للأخرى بحيث لا يمكن أن تقدّم أو تؤخر فكرة عن أخرى ، أو بيتا عن آخر و إلاّ اختل البناء الفني و اضطرب توازن القصيدة.

69- على عشري زايد : عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، ط5 ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، 2008 ، ص 34 .

و من الدعاة إلى وحدة القصيدة ميخائيل ، مطران و غيرهم ... ، حيث نادى هؤلاء بوحدة القصيدة لإلفات النظر إلى أنّ القصيدة الواحدة كانت تشمل أغراضا مختلفة ، و مقاصد متنوعة ، و كان بالإمكان فصل كل بيت عن الآخر في قصيدة واحدة دون أن يحدث أي خلل ، و كأنّ البيت لا يمت للقصيدة بصلة ، فوحدة القصيدة تخلق القدرة على ربط الأسباب بالمسببات في هذه الحياة ، و إدراك الصلة الموجودة بين الجزئيات و الكليات و بالتالي التعبير عن التجارب المتنوعة ، و كذا التعبير عن المعاناة المريرة بشكل متسلسل مترابط حيث « تتهافت عليه مختلف المشاعر المأساوية فيحاول التعبير عنها بوسائل فنية مبتدعة ، و ذلك بغية التأثير على المتلقي ، و ذلك التعاقب الشعوري دليل على أن معاناته عميقة و أن نفسية الشاعر غارقة في بحور المآسي مما يدفعه إلى خلق أسلوب دقيق في التعبير عن تلك التجربة بطريقة فنية رائعة ، فهو هنا يرسم خطة ما لقصيدته و انتقاء وسائل للتعبير و التصوير دون إضاعة طاقاته النفسية و الفنية بغية نيل رضى أحد خارج تجربته الشعورية ، أو التطرّق إلى مواضيع أخرى لا تمت إليها بصلة .»[70]

إنّ الوحدة العضوية دليل على صدق الشاعر شعورا و احساسا ، وكذا عمق التجربة التي مرّ بها و هذا يؤدي بالقارئ إلى الإحساس بها و التعايش معها ، حيث أنّها تتمثل في وحدة الجو النفسي ، و ترتيب الأفكار و الصور في بناء متماسك ، و يشيع هذا خاصة في الشعر القصصي كقصيدة " الحجر الصغير " لإيليا لأو ماضي يقول فيها :

« سمع اللّيل ذو النجوم أنينا و هو يغشى المدينة البيضاء .

فانحنى فوقها كمسترق الهمس يطيل السكوت و الإصغاء .

فرأى أهلها نياما كأهل الكهـ ف لا جلبة و لا ضوضاء .

70- أنس داود : التجديد في الشعر المهجري ، ص 370 .

كأنّ ذلك الأنين من حجر في السد يشكو المقادر العمياء .»[71]

هذه الأبيات تمثّل كلاًّ متماسكا ، و حذف بيت من أبياتها يؤدي إلى الإخلال بالمعنى الذي يرمي إليه الشاعر ، فهو هنا يمجّد الإنسان مهما كان بسيطا أو صغيرا ، فهو مكرّم رغم كل ذلك .

إنّ التماسك العضوي بين أجزاء القصيدة الواحدة جعل منها لوحة فنية متناسقة الأطراف عكس القصيدة الجاهلية مثلاً ، التي لا تتوفر على تلك الوحدة ، لا صلة فكرية بين أجزاءها لذلك كان لابد على الشعراء المجددون من الدعوة إلى وحدة القصيدة فالأغراض التقليدية القديمة من مدح للمناضلين و هجوم على المستعمرين و ذكر أمجاد العرب التاريخية و أنسابهم ، أغراض لا تتحقق فيها وحدة العضوية .

كما تتحقق الوحدة العضوية في بعض المقطوعات ، حيث تتآزر مجموعة من الأبيات الذي يقضي فيها كل بيت إلى الذي يليه للتعبير عن غرض معين ، فتبدو هذه المجموعة كلا متلاحما و هذا ينطبق كذلك على الشعر الخطابي في بلاد المهجر ، أو ما يسمى كذلك بالشعر القومي .

و هناك الكثير من القصائد التي تتوفر على الوحدة العضوية ، و بخاصة إذا سرت في القصيدة روح الحكاية ، و اعتمدت بذلك على بداية و مسار و نهاية .

تدعو مدرسة المهجر إلى ضرورة توفر الوحدة العضوية في القصيدة العربية فأصبح ديوان الشعر يضم طائفة من القصائد ذات طابع معيّن يكون مشتركا بينها ، كما نلمس ذلك في ديوان " أوراق الخريف " لندرة حداد ، و " الأرواح الحائرة " لنسيب عريضة ، و " أغاني الدرويش " لرشيد أيوب ، و " همس الجفون " لميخائيل نعيمة ، و غيرها ... ، فقد تكون

71- ايليا أبو ماضي : الديوان ، ص 121 .

هذه الدواوين عناوين لقصيدة واحدة ضمن هذا الديوان ، و أطلق عليها اسم " القصيدة الديوان " لذلك فتوفر القصيدة المهجرية على الوحدة العضوية ، أضفى عليها بصمة جمالية رائعة ، و وحدة شعورية متناسقة .

ب. <u>الأوزان و القوافي</u> :

تخلّى الشاعر المهجري عن القالب الموروث عن موسيقى الخليل ، و اعتبر خروجه على الأشكال التعبيرية القديمة ، و التقاليد الموسيقية الموجودة في الشعر العمودي ضرورة لابد منها ، و دعا إلى التحرّر من القيود العروضية و البيانية التي ترهق كاهل الشاعر ، و تمنعه من التعبير عن المعاني و الأفكار و المشاعر و العواطف ، و التجارب المختلفة التي يرغب في التعبير عنها .

و قد استخدم المهجريون طريقة الموشحات الأندلسية ، و هي طريقة لها تقاليدها و بواعثها التي استحدثتها ،أشاعتها ، و التنويع الموسيقي في الموشحات كان ذا تأثير ضخم في شعراء المهجر ، و تكاد هذه الطريقة تغلب على الديوان المهجري حيث «يلاحظ على شعراء المهجر أنّهم لم ينقلوا الموشح على شكله المعهود في الموشحات الأندلسية ، و لكنّهم طوّروا هذا الفن بما يتماشى مع ظروفهم حيث عاشوا في جو من الحرية ، دفعهم على الانطلاق و التجديد في الشعر عامة ، و منه الشكل الموسيقي ، و قد ارتفعوا بالمستوى الفني لهذه الموشّحات و أشاعوا فيها الموسيقى العبة و الرّقة الغنائية الحلوة ، و سمو بها عن التلاعب اللّفظي ، و الزخرف الشكلي الذين كانا يسيطران عليها في الأندلس . » [72]

أي أنّ شعراء المهجر جدّدوا في شكل الموشحات الأندلسية ، و أضفوا عليها بصمة جديدة تنبع من روح الحرية ، و البعد عن ذلك التقليد الشكلي للموشحات الأندلسية القديمة ، و هذا نموذج من شكل الموشحة في قصيدة ابتهالات لميخائيل نعيمة يقول :

72- شعبان عبد الحكيم محمد : حركة الشعر العربي في المهجر ، ص 62 ، 63 .

« كحّل اللّهم عيني .

بشعاع من سناك كي أراك .

في جميع الخلق في دود القبور في نسور الجو في موج البحار .

في صهاريج البراري ، في الزهور في الكلا في التبر في رمل الفقر .

و إذا ما ساورتها سكتة النوم العميق .

فأغمض اللّهم جفنيها إلى أن تستفيق .»[73]

و هنا لا نستشف و حدة للقافية و الأوزان ، فالشاعر لم يتقيّد بها و لم يسر على منوال القدامى في نظمه ، حيث نلاحظ تغيّر القافية كل بيتين ، فهي في نظره تكبت حرّيته ، يقول ميخائيل نعيمة :

« أنّ القافية العربية السّائدة إلى اليوم ليست سوى قيد من حديد يربط قرائح شعراءنا ، و قد حان تحطيمه .»[74]

فهو يعتبر القافية بمثابة عقبة تقف في طريق إبداع الشاعر.

لم تعد القافية الشعرية لازمة في القصيدة المهجرية ، إذا استطاع التخلّي عنها بكل بساطة دون أن يحدث خللا في موسيقى القصيدة أو الإيقاع الداخلي لها « فقد فطن الشاعر المهجري إلى أنّ الايقاع ليس في الوزن و القافية فقط و إنّما هو روح تسوي القصيدة

73- ميخائيل نعيمة : همس الجفون ، ص 35 .

74- شعبان عبد الحكيم : حركة الشعر العربي في المهجر ، ص 63 .

مرجعه للموسيقى الداخلية التي نستشعرها في تجانس الحروف في الكلمات ، و في تلاءم الكلمات و تناسقها فيما بينها ...»[75]

أي أنّ العبرة ليست في وحدة القافية ، إنّما في مدى التجانس بين الألفاظ و الكلمات .

من خلال هذا نجد أنّ شعراء المهجر أبدعوا ألوانا موسيقية جديدة غير معهودة حيث أنّهم توسّعوا في نظام المربعات و المخمسات و المجزوءات ، كما جددوا في الموشحات الأندلسية و أبدعوا فيها و أضفوا ألوانا جديدة و غير مألوفة بين الأشكال العربية .

ج. <u>الصورة الشعرية</u> :

إنّ التعبير بالصورة الشعرية هي خاصية الشعر منذ ولادته الأولى ، فقد كان لها بروزا واضحا في الشعر العربي القديم ، فهي أهم خاصية للغة الشعر التي تهدف بالدرجة الأولى إلى التأثير في المتلقي من خلال التعبير عن التجارب النفسية و الخلجات العاطفية و الخواطر الوجدانية ، إلاّ أنّ عصرنا الحاضر قد أضاف إلى هذه الصورة أبحاثا نقدية جديدة عمّقت النظر في الصور الشعرية فهي « الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ و العبارات بعد أن ينضمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبّر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة ، مستخدما طاقات اللّغة و إمكاناتها في الدلالة و التركيب و الإيقاع ، و الحقيقة و المجاز ، و الترادف و التضاد ، و المقابلة و التجانس و غيرها من وسائل التعبير الفني و الألفاظ و العبارات هما مادة الشاعر الأولى التي يصوغ منها ذلك الشكل الفني ، أو يرسم بها صوره الشعرية .»[76]

75- نفسه ، ص 64 .

76- عبد القادر القط :الإتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1978 ، ص 435.

كما أنّها عارضت اللّغة التقريرية المباشرة ، و نادت بلغة أكثر إيحائية و رمزية بعيدة عن التعليل و التبرير .

و قد تفنّن شعراء المهجر في رسم لوحاتهم الفنية التصويرية ، و أبدعوا فيها ، يقول ميخائيل نعيمة: « إن رأيت الفجر يمشي خلسة بين النجوم .

و يوشي جبة اللّيل المولى بالرسوم .

يسمع الفجر ابتهالا صاعدا منك إليه .

و تحوى كتبي هبط الوحي عليه .

بخشوع جاثية.

هل من الفجر انبثقت ؟ »[77]

يعبّر الشاعر من خلال هذه الأبيات عن الصّلة و دوافعها ، و يتساءل ما إن كانت نفسه قد انبثقت من هذا الفجر ، و عن التأثير الذي يحدثه الفجر في نفسه ، حيث صوّر تلك الصلة القوية بينهما و مدى الخشوع الذي ينتابها عندما ترى الفجر .

يجيد ايليا أبو ماضي ذلك التصوير خاصة إذا كان منتكسا ، لذلك نجد صوره مدمرة مرهونة بأسباب الموت ، فهو لا يصوّر لذّة الحياة و جمالها بل يجيد تصوير الانهزام و خيبة الأمل ، الذي تصيب الإنسان حتّى أنّه جعل الفناء هو الصورة الوحيدة تقريبا في شعره .

يقول في قصيدة " الطين " :

« نسي الطين ساعة أنّه طين حقير فصال تيها و عربد .

و كسى الخزّ جسمه فتباهى و حوى المال كيسه فتمرّد .

77- ميخائيل نعيمة : همس الجفون ، ط6 ، دار نوفل ، بيروت ، 2004 ، ص 18 .

يا أخي لا تمل بوجهك عنّي ما أنا فحمة و لا أنت فرقد .

و لقلبي كما لقلبك أحلام حسان فإنه غير جلمد .

أ أماني كلّها من تراب و أمانيك كلّها من عسجد .

أيّها الطين لست أنقى و أسمى من تراب تدوس أو تتوسّد .»[78]

لأبو ماضي في هذه الأبيات لهجة قاسية على الإنسان المتكبّر المتجبّر ، فرغم تجبّره و تغطرسه إلاّ أنه يذكّره بأنّه طين حقير ، و يؤكّد على أنّ الناس سواسية لا فرق بين قوي و ضعيف ، أو غني و فقير ، و لعلّ سبب هذه الصورة ما ساد المجتمع من آفات سببها التكبّر ، مما أدّى إلى إثارة مشاعر الحيرة لديه ، فجاءت صورته جميلة متماسكة .

هكذا جدّد شعراء المهجر في الصورة الشعرية ، و هو يمثّل تجديد في التجربة الشعرية برمتها حيث تدفع القارئ إلى الاحساس بأنّ الشاعر رسّام مبدع ، أجاد اختيار ألوان لوحته و أبدع في التنسيق بينها ، فالصّورة الشعرية أصبحت بحق عماد العمل الشعري .

د. <u>الرمـــز</u> :

اتخذ شعراء المهجر من الرمز أداة للتعبير عن معاني مجرّدة و عن أفكار مبهمة ، و طموحات صعبة المنال ، و نظرا للصّراع الذي يعيشه مع نفسه من جهة و مع الكون من جهة أخرى ، كان لابد عليه من اللّجوء إلى الرمز لتصوير ما يصعب تجسيده على أرض الواقع و ما يؤرقه من شكوك و تساؤلات فهو « وسيلة إدراك ما لا يستطاع التعبير عنه ... ، فهو أفضل طريقة ممكنة للتعبير عن شيئ لا يوجد له أي معادل لفظي ، و هو بديل عن شيئ يصعب أو يستحيل تناوله في ذاته.»[79]

78- ايليا أبو ماضي : الديوان ، ص 121 .

79- الجندي درويش : الرمزية في الأدب العربي ، مطبعة نهضة مصر ، (د.ت) ، ص 102 .

أي أنه يشير إلى فكرة أو معنى من المعاني ، و يرتبط بعلاقة طبيعية مع ما يرمز إليه تقوم على التشابه بين خصائص الرمز ، و بين المعنى المجرّد الذي يرمز إليه ، لذلك كان الرمز وسيلة الشاعر المهجري للتعبير عن أفكار لا يستطيع التعبير عنها و تجسيد أشياء لا يستطيع تجسيدها و التحليق بفكرة إلى أبعد الحدود ، فهو يكثر من الرمز في شعره ، فيأتي بحكايات تصور أفكاره و تدلل عليها ، استمدها من البيئة العربية التي عاش فيها و ترعرع بين أحضانها ، لتكون مألوفة للقارئ العربي الدائب في بيته ، و المتأثر بها ، و ينهي قصيدته ببيت يضمنه خلاصة الفكرة منها أو المغزى.

يقول ايليا أبو ماضي في قصيدته " التينة الحمقاء " :

« و تينة غضّة الأفنان باسقة قالت لأترابها و الصّيف يحتضر .

لأحبسنّ على نفسي عوارفها فلا يبين لها في غيرها اثر .

كم ذا أكلّف نفسي فوق طاقتها و ليس لي بل لغيري الفيء و الثّمر .

إنّي مفصّلة ظلّي على جسدي فلا يكون به طول و لا قصر .

و لست مثمرة إلاّ على ثقة أن ليس يطرقني طير و لا بشر .»[80]

و التينة هنا هي الإنسان الحريص الذي يبخل على الناس حيث صوّره كشجرة تين بخلت على الناس بظلّها ، و ينتهي الأمر بها إلى الاجتثاث ، فصاحب البستان لم يطق رؤيتها لأنّها حبست فيئها و ثمارها على الآخرين .

و لم يطق صاحب البستان رؤيتها فاجتثّها فهوت في النّار تستعر.»[81]

80- ايليا أبو ماضي : الديوان ، ص 337 .

81- نفسه ، ص 338 .

و يصرّح في نهاية القصيدة بالعبر من هذه القصة بقوله :

« من ليس يسخو بما تسخو الحياة به فإنّه أحمق بالحرص ينتحر .»[82]

و بالتالي شفّر معنى الشّح و بخل الإنسان ، و رمز له بتينة كنّاها بالحمقاء.

إنّ الشاعر المهجري لم يخلق صوره من العدم ، و إنّما اختار من الإمكانات المتاحة و الموجودة في اللّغة ، و استعان بمدركاته الحسية و أفكاره المختزنة ، ليقيم بعد ذلك تفاعلا من نوع خاص بينهما ، ليشكّل نظاما لغويا قادرا على إبراز الدلالات التي تحتويها التجربة الشعورية و الفنية التي يريد التعبير عنها لذلك لجأ إلى الرمز بتوجيه من تجربته الشعورية المضطربة التي لا يمكن التعبير عنها إلاّ بالصورة الرمزية ، و هي صورة مناسبة لنفسية الشاعر المهجري الذي غاص في أعماق الوجود محاولا التغلغل في كيانه و كشف خباياه بصورة إيحائية تلائم النفس البشرية و ما تتعرّض له من حالات عاطفية و فكرية معقّدة يستحيل أحيانا تبسيطها أو تحليلها ، و لا يأتي التعبير عنها بالأسلوب المألوف بل لابد من اللّجوء إلى الرمز و التشفير ، لإثارة حالات متشابهة في نفس المتلقي عند تفاعله معه بغية الوصول إلى غاية إنسانية سامية ، فمثلا : الحجر الصغير هو عنوان قصيدة ايليا أبو ماضي ترمز إلى قيمة كل إنسان مهما ضغر شأنه في المجتمع ، لا يستغنى عن دوره فكل واحد له قيمته و تغييب أي فرد معناه تغييب دوره و هذا يؤدي إلى ضياع المجتمع و انهياره كما انهار السد بسبب ذلك الحجر الصغير إضافة إلى قصيدة " الفراشة المحتضرة " الذي يصوّر حالها في فصل الربيع و الصّيف ، و فقدان فرحها و سعادتها بعد هذين الفصلين ، فتعاني الوحدة و الضياع ، و بالتالي فهي رمز للحس بالكآبة لضياع الشباب و فناء العمر و بذلك اتخذ شعراء المهجر من الرّمز و سيلة فنية للتعبير عن مختلف أفكارهم و

82- ايليا أبو ماضي : الديوان ، ص338.

مشاعرهم و آرائهم اتجاه قضية إنسانية معينة بغية معالجتها من جهة و بلوغ غاية إنسانية من جهة أخرى .

هـ. العنونــة :

لم يكن معتادا بين الشعراء – قبل القرن العشرين – أن يضعوا عناوين لدواوينهم أو قصائدهم ، و كانت القصيدة حينما يراد الإشارة إليها تذكر بالمناسبة التي ارتبطت بها ، أو الموضوع الذي قيلت فيه ، أو تسمى بحرف الروي الذي بنيت عليه و في « العصر الحديث ، ظهرت فكرة العناوين ، و أصبح العنوان جزءا مهما في دلالته القصيدة ، و احد العناصر الفنية الإبداعية ...»[83]

و يظهر هذا جليا عند شعراء المهجر الذي جعلوا لكل قصيدة عنوانا أو لكل ديوان عنوانا يكون بمثابة وعاء يضم محتوى القصيدة ، فهو العتبة الأولى لفهم المغزى و إدراك المضمون و يكون إيحائي يحمل الكثير من الدلالات و المعاني ، فهو ترتيب لغوي مختصر ينظمه الشاعر بأسلوب شاعري جذّاب يستهوي القارئ و يثير فضوله ، يعبّر عن مضمون العمل الشعري فيكون « نصا موازي أو مقطعا في أوّل النص يحدد الرؤيا الشعرية .»[84]

و بالتالي يشكل العنوان جزءا مهما في بنية القصيدة المهجرية ، و سجّل حضورا لابد منه في تلك القصائد .

يقول ايليا أبو ماضي في قصيدة بعنوان " ابتسم " :

« قال : الحياة كئيبة و تجهّما قلت : ابتسم يكفي التجهّم في السّما !

83- ج. بواون وج. بول: تحليل الخطاب ، (تر: محمد الزليطي و منير التركي) ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، 1997 ، ص 8.

84- عز الدين المناصرة : غاية الألوان و الأصوات ، ط1 ، دار البازوري ، عمان ، 2006 ، ص 273 .

قال : الصبا و لي فقلت : ابتسم لن يرجع للأسف الصبا المتصرّما !

قال : التي كانت سمائي في الهوى صارت لنفسي في الغرام جهنّما !

خانت عهودي بعدما ملكتُها قلبي ، فكيف أطيق أن أتبسما ؟!

قلت ! ابتسم و اطرب فلو قارنتها قضّيت عمرك كله متألّما .»[85]

يوحي هذا العنوان " ابتسم " بالتفاؤل و الاستبشار ، و هذا ما نستشفه في مضمون القصيدة ، فهو يدعو إلى الإقبال على الحياة و الناس ، لزرع الحب فيها ، بعيدا عن التشاؤم و الكره الذي يسببه زوال الشباب و ضياع الآمال الذي يجعل الحياة جحيما ، و بالتالي الدعوة إلى الابتسام رغم كل الصّعاب .

و من القصائد المعنونة كذلك : قصيدة " الطين " و " أمنية الإلهة " و " الطلاسم " و " في فلسفة الحياة " لايليا أبو ماضي ، و كذا " أوراق الخرف " و قصيدة " أنا " و " من أنت يا نفسي " و " ابتهالات " لميخائيل نعيمة و غيرها ...، و كلّها عناوين موحية تعكس فحوى قصائدها .

و بالتالي جعل الشاعر المهجري لكل قصيدة عنوان يعبّر عن مضمونها و يوحي بمحتواها ، و هو أمر جديد لم يعرفه الشعر العربي القديم .

من خلال دراسة مظاهر التجديد في شكل القصيدة المهجرية ، نجد أن هؤلاء الشعراء تفنّنوا في إبداعاتهم الشكلية و الموسيقية ، و جدّدوا في الألوان القديمة ، و أضافوا ألوانا جديدة للقصيدة العربية.

85- ايليا أبو ماضي : الخمائل ، دار صادر ، بيروت ، (د.ت) ، 38 و ما بعدها .

الفصل الثاني: نزعة الألم في قصائد حجازي

منذ أن وجد الإنسان و هو يعاني الحياة و يدرك ما فيها من خير و شر ، و سرور و حزن ، و ظلّ الحزن رفيقه في الحياة ، و هذه الآلام تكون لفقد عزيز أو أمنية أو نعمة أو تكون لحرمان ممن يحب أو يريد في الحياة ، و تظهر هذه الاختلاجات و الشعور بالألم عند الشعراء بخاصة منذ العصر الجاهلي حتى شعراء العصر الحديث ، إذ أنّ شعراء الأدب العربي أنشدوا أشعارا لبيان ما في حياتهم من الألم و الشعور بالحرمان طوال عصور مختلفة صوّر الشاعر الجاهلي همومه في صور فنية رائعة ، كما كانت دموع المحبين العذريين تنسكب بحرارة في العصر الأموي ، و في العصر العباسي كان البؤس و الشقاء شائعان في الحياة ، كما شهد العصر الحديث الأمر نفسه فسال حبرهم و انفجرت قرائحهم تنشد أغاني مشجية تحيط بها الكآبة و الحزن من كل جانب .

و قد ظهر في العصر الحديث مجموعة من الشعراء دوّت صرخاتهم عاليا ملأت أرجاء المملكة الشعرية حزنا و ألما ، ثراءً و عذوبة ، و كان إبراهيم ناجي من أبرز هؤلاء الشعراء و وجدت تصاوير الحزن و اليأس و الألم تنبض في أشعاره ، و كلّها إشاعة للرّوح الرومانسية الحديثة ، تتمثل فيها شخصية الشاعر مليئة بالشكوى و الأنّات ، حيث كان شاعرا مجروحا يئِنُّ دائما ، و يشكو إفلات سعادته منه ، و خلجات قلبه بصورة محزنة مليئة بالألم و المعاناة ، عانى من حبّه الحزين و المحروم ، إذ غنّى أغانيه الحزينة لحبيب رحل و جمال زال ، كما عبّر عن إحساسه المأساوي بالخيانة ، و حنينه و شوقه لماضٍ دفين أليم يرفرف بجناحين ، جناح السعادة بتلك الذكريات الجميلة و جناح الخيبة و الحزن لفراق من أحب ، لذلك جاء شعره تعبيرا عن عواطفه و مشاعره اتجاه هذا الحب و الصدق فيها ، و في هذا نوع من الإشادة بالمرأة و الخضوع لسطانها ، و هذا الخضوع لا يدلّ على ضعفه و استسلامه و إنّما كان وراءه حب عميق و صدق عاطفي ، ما أدّى إلى الإحساس بالألم و المعاناة و الاغتراب النّفسي و الحنين .

و هذا دليل الحب الحقيقي ، لذلك كانت حياة إبراهيم ناجي عبارة عن قصيدة حب حالمة و مؤلمة و أحاديث عاطفة مرهفة و حسّاسة ، و فيها أنغام الهجر و الوصال و الرضاء و الشوق و الوجع عبّر عنها بصدق و حرارة ، و لا يجد سوى الدّموع للتقرّب بها من حبيبته و بثّ أشواقه إليها ، و لا يجد بلسما لجراح قلبه و شغفه و ولعه إلاّ الوصال ، و كان ذلك القلم الدّامي هو ترجمان تلك المشاعر الجيّاشة ، لذلك يعدّ بحق شاعر الحب إذ يقول عن شعره : « هو النافذة التي أطلّ منها على الحياة و أشرف منها على الأبد و ما وراء الأبد هو الهواء الذي أتنفّسه و البلسم الذي داويت به جراح نفسي ، عندما عزّ الإساءة ، هذا هو شعوري .»[86]

كانت أشعاره مرآة عاكسة لنفسيته المضطربة الحزينة ، و وليدة تجارب شعورية ذاتية ، إذ عانى من ألم الحب ، عانى بسببه الكثير ، ذلك الحب المحروم الذي تغلغل في كيانه و أرّقه و أبى هجره فعاش رهينة في سجنه ، راضيا بذلك السجن العتيد ، رافضا نسيان حبّه مستمتعا في بعض الأحيان بتذكره ، فقد أتعبته تلك الذكريات المؤلمة ، و عانى من الحنين و الشوق و قلّة الوصال و الفراق و الهجر و صدّ الحبيب و كذبه ، و سبح في بحر الشقاء العاطفي حتى أغرقته الوحدة و الهزيمة .

لذلك سنحاول التطرّق إلى نزعة الالم التي يشعر بها إبراهيم ناجي إثر حبّه ، و ترجم حروفها إلى كلمات تقطر دما من جهة و عذوبة و رقّة من جهة أخرى .

86- إبراهيم ناجي ، الأعمال الكاملة ، دار الهنداوي ، القاهرة ، (د.ت) ، ص 7 .

1-<u>الفراق و الهجر</u> :

صوّر " إبراهيم ناجي " في أشعاره حبه و مرارة فرقته عن حبيبته ، إذ كان دوما يشعر بنوع من الهجر و عدم الوصال ، و هذا ما أثار في نفسيته مشاعر الألم و المعاناة ، ألم لفراق من بنى عليها أحلامه و اعتبرها هيكل حياته ، و أمل استمراره ، لذلك كان فراقه عن محبوبته هجس راوده في نومه و يقظته ، في فرحه و حزنه ، في شدّته و رخائه ، فما أصعب أن يعيش الإنسان بعيدا عن من أحبّ خاصة إذا تعلّق الأمر بالهجر المرير و البعد المقيت الذي لم تكن له مقدّمات و أسباب معيّنة لذلك يعد الفراق أصعب شيئ يمكن أن يواجهه الحبيبان ، فحرقته تبقى متغلغلة في كيانه ، و يئنّ منها كل عضو في جسده و التهب صدره بنار هجر الحبيب ، لذلك كانت عاطفة الألم و الحزن و الأسى لفراق الحبيبة من أبرز ما ميّز شعر ناجي إذ يقول في قصيدة " صخرة الملتقى " :

« سألتك يا صخرة الملتقى متى يجمع الدّهر ما فرّقا .

فيا صخرةً جمعت مهجتين أفاءً إلى حسنها المنتقى .

إذا الدّهر لجَّ بأقداره أجدا على ظهرها الموثقا .

قرأنا عليك كتاب الحياة و فضّ الهوى سرّها المغلقا .

نرى الشّمس ذائبة في الضباب و تنتظر البدر في المرتقى .

إذا نشر الغرب أثوابه و أطلق في النّفس ما أطلقا .

نقول هل الشّمس قد خضّبته و خلت به دمها المهرقا .

أم الغرب كالقلب دامي الجراح له طلبة عزٍ أن تلحقا .»[87]

تعكس هذه الأبيات نفسية الشاعر المتألمة و الحزينة جرّاء فراقه عن حبيبته ، إذ جلس " ناجي " على صخرة كان يلتقي عليها محبوبته ، و راودته طائفة من الذّكريات مصحوبة بألم تلاشي هذه الذّكريات نتيجة الهجر ، و سيطرت عليه مشاعر الألم و الكآبة لفراقها مع حنين متجدّد لأماكن التّلاقي ، و يظهر هذا جليّا في مخاطبته للصّخرة التي التقى بها عليها من سنين ، متمنّيا أن يجمع الله شملهما الضّائع مرّة أخرى بعدما فرّقهما الدّهر ، و أبعدهما عن بعضهما البعض ، فقد أثارت الصخرة في نفسه احاسيس فياضة لذلك تصوّرها إنسان يخاطبه و يسأله منتظرا الإجابة عن التساؤلات التي ارّقته .

يواصل ناجي بث ألم فراقه في " صخرة الملتقى " قائلا :

« ويا صخرة العهد أُبْثُ إليك مزّق الشّمل ما مزّقا .

أريك مشيب الفؤاد الشّهيد و الشيب ما كلل المفرقا .

شكا أسْره في حبال الهَوَى و ودَ إلى الله أن يعتقا .

فلما قضى الحظ فك الأسير حنّ إلى أسْره مطلقا .»[88]

عاد الشاعر مرّة أخرى بمناداة صخرة العهد ، بعد أن تغيّرت الأحوال و تحوّلت الآمال إلى آلام و الأحلام إلى أوهام ، فقد تفرّق الحبيبان ، و تمزّق شمل الهوى ، فذهابه إلى تلك الصّخرة ليس هو الذّهاب المعتاد الذي كان يتم بالفرح و السرور ، و إنّما عودته إليها عودة وحيد كئيب متأمّل بلم الشّمل و استرجاع البهجة ، بعد أن جرّ عليه الزمن و أبعده عن

87- إبراهيم ناجي : ديوان وراء الغمام ، دار العودة ، بيروت ، 1986 ، ص 48 .

88- إبراهيم ناجي : وراء الغمام ، ص 49 .

صاحبته ، إذ يبثّ الشاعر الصّخرة أوجاعه و يخبرها بقسوة الهوى الذي حطّمه ، لأنّه ضحيّة النّجوى و شهيد الحب ، الحب الذي أثار فيه كل عواطف الحزن و المعاناة ، لكنّه رغم ذلك يبدو مستمتعا بعذابه راضيا الاستمرار في قيوده و أغلاله رغم جرحه العميق و ألمه الكبير .

يقول في قصيدة " الفراق " :

« يا ساعة الحسرات و العبرات أعصفت أم عصف الهوى بحياتي ؟

ما مهربي ملأ الجحيم مسلكي و طغى على سُبُلي و سدّ جهاتي .

من أي حصن قد نزعت كوامنا من أدمعي أستعصمن خلف ثباتي .

حطمت من جبروتهنّ فقلن لي أزف الفراق فقلت و يحك هاتي .

أأموت ظمآنا و ثغرك جدولي و أبت أشرب لهفتي و ولوعي .»[89]

عصفت بالشاعر عواصف الحب المرير ، و جعلت من حياته ساحة للمعاناة و الدّموع و المشاعر المتدفّقة و الجيّاشة ، إذ سيطر عليه و جعله يعيش الجحيم على أرض الواقع ، و يتجلّى ذلك في قوله " ملأ الجحيم مسالكي " ، إذ أنّ فراقه عن حبيبته حطّم برج احلامه العاجي و جعله أيسر الدّموع و الحسرة ، و رهينة الأحزان و النّكبات التي تجذبه من كل جهة ، لأنّها كانت الهواء الذي يستنشقه و الماء الذي يروي ظمأه ، و جعل دموعه التي تنهمر جرّاء فراقها مرآة يسبّع بها ناظريه ، كما اعتبرها سببا في شموخ نفسه و علوّها . لذلك كان فراقه عنها عاصفة تُخرّب حياته ، و تبرز روحه المتألّمة ، لأنّ معاناته كبيرة لا تجليها

89- إبراهيم ناجي : الطّائر الجريح ، ط3 ، دار الشروق ، القاهرة ، 1997 ، ص 79 .

إلاّ التجربة الفعلية التي مرّ بها الشّاعر لهذا لا عجب أن ينظر إلى الحياة نظرة سلبية يملأها الإنهزام و الخيبة ، فجراحه عميقة و المه دفين و نزيفه لم يتوقّف مع مرور السنين .

يقول في قصيدة " الوداع " :

« أزف البين و قد حان الذّهاب هذه اللّحظة قدَّت من عذاب .

أزِف البين و هل كان النّوى يا حبيبي غير أن أغلق باب .

مضت الشّمس فأمسيت و قد أغلقت دوني أبواب السّحاب .

و تلفّت على آثـــارها أسأل اللّيل ! و من لي بالجواب ؟!»[90]

الفراق عند ناجي عذاب و نار ، إذ يحسّ عند الفراق أنّ كل الأبواب مغلقة أمامه ، فمنذ فقد حبيبته و غيوم الحزن تتكدّس في سمائه ، و عواصف الكآبة تعصف بحياته ، فلم يعرف سوى لحظات من الفرح كالبرق ، تومض ثمّ تختفي ، لذلك استسلم للشّقاء و الألم ، و طغت الصّور الحزينة و السوداء على شعره ، فكان مرآة عاكسة لطبيعته الدّاخلية المتألّمة و الكئيبة و الغارقة في ضباب حزنه ، إذ أنّ الفراق يثير الشجون في النفس و يجعلها هائمة في عالم آخر ، و يعصر القلب و الرّوح ، فيصبح الإنسان حائرا لا يهدأ له قرار بعد أن هجره النّوم و جافاه و طحنه الحزن فبات يئِنّ ألمًا .

يقول في قصيدة " عذاب " :

« ألمي محا ذنبي إليك و كفرا هبني أسأت ألم يحن أن تغفرا ؟

روحي ممزقة و أنت تركتها لمخالب الدنيا و أنياب الورى .

روحي ممزّقة و لو أدركتها جمعت من أشلائها ما بعثرا .

90- إبراهيم ناجي : وراء الغمام ، ص 36 .

أو ليس في ظل حبّك موضع أحبوا إليه و أرتمي مستنصرا .

ما كنت عن لقائك ساعة كيف اصطباري عن لقائك أشهرا ؟!»[91]

اشتدّت هموم الشاعر و تصاعد ألمه إلى درجة تصويره بأنّه محا ذنوبه ، فأصبحت أنّاته و آهاته تحرق قلبه و تمزّق روحه ، و تقطّع أشلاءه و لا سبيل لجمعها إلاّ بعودة حبيبته إليه لذلك يتوسّل إليها و صله محاولا أن يأسر قلبها و يثير عطفها ، لأنّه لم يعد يحتمل أسى بعدها ، فيظهر عميق الحسرة منسكب الدموع ، يواسي نفسه المجروحة بأمل عودتها من جديد ليحمّلها نجواه الحزينة و شكواه الكبيرة و المريرة ، إذ أنّ صبابته و شجونه جعلت الصبر يفارق قلبه ، و بات يؤرّقه ، و أمسى الدّمع أنيس عينيه ، و الجرح رفيق روحه .

يقول في قصيدة " قيثارة الألم " :

« إن حان لحن الختام صار النشيد دعاء .

مرّ الهوى في سلام فلنفترق أصدقاء .

سرّ وراء الظنون أظلّني و أضاء .

لم أدري ماذا يكون و لم أسل كيف جاء .

ولّى خيال و راح و حلّ ظل غريب .»[92]

يواصل ناجي عزف أنغام الالم و مرارة الفراق ، بموسيقى حزينة هادئة ، تحمل بين طيّاتها عاصفة هوجاء ، لذلك كانت الهدوء الذي يسبق العاصفة ، فقد اكتوى قلبه بنار العشق ، و جرت دموعه جريان النّهر و هو يتوجّع حين هجرته حبيبته ، و يحترق حسرةً و أسى ، و في لهيب هذا الحريق يستذكر شجوه و أنّاته و حزنه و دموعه .

91- إبراهيم ناجي : ديوان ليالي القاهرة ، ط3 ، دار الشروق ، القاهرة ، 1997 ، ص 83 .

92- إبراهيم ناجي : الطّائر الجريح ، ص 87 .

يقول في قصيدة " في الظّلام " :

« بعينيك أستهدي فكيف تركتني بهذا الظّلام المطبق الجهم أستهدي .

بوردك أستسقي فكيف تركتني لهذي الفيافي الصم و الكثب الجرد .

بحبّك أستشفي فكيف تركتني و لم يبقى إلاّ العظم و الرّوحى و الجلد .

و هذي المنايا الحمر ترقص في دمي و هذي المنايا البيض تختال في فؤادي .»[93]

كانت حبيبة الشاعر نور عينيه و مصباحا ينير دربه و ينسيه همّه ، و الحب الذي يكنّه لها بمثابة الدّواء الذي يشفي أوجاعه و يخفّف آلامه و يذهب حزنه ، كانت بالنسبة له كالوردة الجميلة تزيّن البستان و تزيّن واحة حياته ، لذلك كان فراقه عنها بمثابة طعنة السكين على الجسد ، و جعلته رهينة للآلام و الأوجاع التي التهمت كلّ أحلامه و أحرقتها حتى أصبحت رمادا ، لذلك يبثّ شكواه لما يلقاه من ألم الفراق و يصوّر خلجات نفسه ، و يصف مشاعره المرهفة و المجروحة ، و يشتكي و يتألّم لما أصابه من يأس و تأس ، و إحساس بالمعاناة كانعكاس لأثر الهجر في نفسه ، فكان شعره متنفسا لعواصفه و مصبا لآهاته و عبراته ، و ونيسه الوحيد في عزلته ، حيث كان يشرح له صدره و إن كانت لا يمكن أن تشرح من الآلام .

يقول في قصيدة " بقية القصّة " :

« أصبحت و الدنيا وداع أحبة و دموع خلاّن و حزن رفاق .

فسخرت من صرخاتهم و بكائهم لا دمع إلاّ الدّمع في أحداقي .

لا صوت إلاّ صوت حبّك في دمي أصغي له و أراه في أطواقي .

93- إبراهيم ناجي : ليالي القاهرة ، ص 14 .

متدفّقا مثل العباب و مزيدا متفجّرا كالسيل في أعماقي .

ساهرت أحلام الظّلام و كلّها أشباح هجر أو طيوف وداع .»[94]

قصّة حب الشّاعر طويلة و مريرة بدايتها فرح و سرور و نهايتها وجع و فراق ، لذلك اعتبر دنياه وداعُ أحبّة و دموع حسرة و ألم هجر ، و كان يسدّد نظره إلى ظلمات اللّيل فلا يرى سوى الآلام و الآمال التي كانت تتلاشى أمام ناظريه ، و أحلامه التي اصطادها قنّاص القضاء و رماها في واد الحزن و الألم ، حيث يوجد الموت و هو وادٍ جرفته إليه حبيبته التي خانت العهد و تركته دون سابق إنذار ، إذ أنّ هجر الحبيبة له جعلت حياته مليئة بالشّقاء عامرة بالأحزان ، مغمورة بالكآبة لأنّ جرحه عميق و عذابه مرير ، لذلك يتألّم أشدّ الألم إذ لم يجد النّفس التي يبثّها آلامه و أحزانه .

يقول في قصيدة " أين غد " :

« يا قاسيَ البعد كيف تبتعد إنّي غريب الفؤاد منفرد .

إن خانني اليوم فيك قلت غدا و أين منّي و من لقائك غدُ ؟

إنّ غدا هوةٌ لناظرها تكاد فيها الظّنون ترتعد .

أطلُّ في عمقها أُسائلها أفيك أخفي خالية الأبد ؟

بالأمس الجرح ما الذي صنعت به شفاه رحيمة والأبد ؟

ملء ضلوعي لظًى و أعجبه أنّي بهذا اللّهيب أبترد .

يا تاركي حيث كان مجلسنا و حيث غنّاك قلبي الغرد .»[95]

94- إبراهيم ناجي : الطّائر الجريح ، ص 34 .

95- نفسه ، ص 68 .

توالت المصائب على ناجي الواحدة تلو الأخرى ، فزادت من حدّة غربته و أزمته النّفسية فبعد فراقه عن حبيبته التي كانت تلهمه و تبدّد الظّلام و تزيل الأشواك عن طريقه ، نجده يعيش التعاسة بكل معنى الكلمة ، و يتجرّع الكآبة ، و يتعرّض لمعاناة أشد ضراوة و فداحة لأنّ ألمه ينبعث من قلبه و صميمه بعد أن نهش الهجر قلبه و حطّمه على صخور الحياة و أصبح الحزن ينوح في كل ركن من أركان قلبه و جسده ، و أضحى رمزا للتشاؤم و الكآبة و حياته عبارة عن ظلام دامس ، تملأها أشواك الأسى و الحزن و الألم .

يقول في قصيدة " ظلام " :

« و كذا تمضي حياتي كلّها بين يأس و رجاء و ظنون .

ما على الهجر معين أبدًا و على النسيان لا شيء يعين .»[96]

يواصل ناجي التعبير عن حزنه و ألمه لفقدان حبيبته التي كانت النجم الذي يضيء دربه و الكوكب الذي يملأ عينيه ، و التي تحوّلت إلى شعاع يخرق بصره ، و جرح صعب الإلتئام ، لذلك أصبح أشبه بالمجنون الذي لا يعرف من أين الطريق ، أو ماذا يفعل ؟ أو كيف يتصرّف ؟ فهجر الحبيب جعله يعيش في بحور اليأس و المعاناة و يغوص في أعماق الألم و اللامبالاة دون أن يجد أي معين يعينه على تخطّي مأساته و نكبته ، أو يخفّف عنه أوجاعه و أكرابه ، أو ينسيه همّه و حزنه ، لأنّ ذلك الحب قد مزّق قلبه و أحرق كيانه ، و دمّر وجدانه ، فهو يعيش حربا ضروس بين حبّه المحروم و بين قلبه المحطّم ، بسبب ذلك الحب الذي جعله يعيش في حفرة مظلمة مليئة بالأحزان و الآلام ، تسودها أشباح الأوجاع و أطياف الحبيبة التي لسعته في نبرات قلبه .

96- إبراهيم ناجي : الطائر الجريح ، ص 38 .

يقول في قصيدة " المقعد الخالي " :

« همّ أناخ فما انجلى و خلا مكانك لا خلا !

ليل الحياة و كان ليـ لي في الهواجس أطولا .

كم لحظة في الصدر نا شبة كجزّار الكلا .

كالرّمس فارغة و إن جعلت بإيحاش البلى .»[97]

صارت حياة ناجي فراغ في فراغ و هم يحتضن هم ، و المكان الذي كانت تتربع عليه حبيبته أصبح خاليا مقفرا ، لا يمكن أن يشغله أحد سواها ، لذلك توالت هواجسها على ناجي و تساقطت أطيافها على قلبه المجروح ، و تسابقت الآلام لتحتل الجزء الأكبر من حياته و تسيطر على أفكاره و بالتالي أصبح رمزا للعذاب و الأوجاع ، و فريسة سائغة للدّموع و المعاناة ، إذ اكتوى قلبه بنار الهجر ، و امتلأ صدره بشرارته حتى التهمت الاخضر و اليابس في حياته ، و تأججت بداخله الهواجس النفسية التي غلغلته بحبالها ، و سجنته في حصنها المنيع ، و كبّلته بسلاسل صلبة مصنوعة من الألم و الحسرة .

يقول في قصيدة " من لي " :

« أناشدك الهوى هل أنت مثلي؟ نهاري فيك أشجان و ليلي.

زمان لا يفارقني عذابي و لازمني به الشّقاء به كظلّي .

كأنّ الليل أصبح لي مدادا أسطّر منه آلامي و يملي .

حياتي فيه قفر بعد قفر و عمري فيه كالأبد الممل .

97- إبراهيم ناجي : الطائر الجريح ، ص 94 .

أبعد جوار هند و الأماني أكابد حيرة النّجم المطل .»[98]

يناشد الشاعر حبيبته إذا كانت تعاني ما يعانيه ، و تتعذّب كما يتعذّب لأنّ حياته عبارة عن شقاء لازمه كظلّه ، و عذاب أصبح هواء يومه ، و آلام صاحبته في النّهار ، و أرّقته في اللّيل ، و أصبحت كابوسا يراوده في نومه و يقظته ، فهجر الحبيبة هاجس جعل حياته صعبة و جافة و مقفرة و قلبه منفطر عابس ، يكايد صور الألم و المعاناة و يصارع الأوجاع و الجروح بحمم مفعمة بنبرات حزينة ، تعيسة و ضعيفة ، تحمل بين طيّاتها زوابع الشوك ، و صواعق البؤس ، و عواصف الآلام لذلك كان عمره و حياته سجل ضخم عنوانه ألم الحب ، و أشجان هجر الحبيب .

يقول في قصيدة " عتاب " :

« هجرت فلم نجد ظلا يقينا أحلما كان عطفك أم يقينا ؟

أهجرا في الصّبابة بعد هجر أرى أيّامه لا ينتهينا .

لقد أسرفت فيه و جرت حتّى على الرّمق الذي أبقيت فينا .

كأنّ قلوبنا خلقت لأمر فمذ أبصرت من نهوى نسينا .»[99]

تتحدّث هذه الأبيات عن معاناة ناجي جرّاء فراقه عن حبيبته ، إذ عاش مرارة هذا الهجر و تألّم منه و اعتبر أيّامه لا تنتهي ، أيام مريرة مقيتة و حادة لا حدود لها ، إذ أنّ هذا الحب شغله عن الحياة و ألهاه عنها و أنساه ما فيها من جمال و زينة ، و حلاوة و بهاء ، و أصبحت صاحبته شغله الشاغل و همّه الكبير ، لذلك كان هذا الهجر علقما تجرّعه في الضحى و المساء ، فجاء شعره صورة عاكسة لأوجاعه التي عبّر عنها بألفاظ عذبة و

98- إبراهيم ناجي : الطائر الجريح ، ص 106 .

99- إبراهيم ناجي : وراء الغمام ، ص 106 .

جسّدها بروح متألّمة و حزينة ، إذ تتراءى له أشباح الأوجاع و تعزف على قيثارة الأحزان لتنتج أنغاما كئيبة ، و ألحانا مؤلمة نابعة عن عاطفة بكّاءة ، ما يجعل تجربته تنتقل إلى الأذهان نقلا حيّا و موحيا .

صوّر ناجي لوحة مكتملة حول موضوع الالتقاء و الافتراق بين المحبين ، و بين مشاعره المعذّبة و نفسه المتعبة ، جرّاء ما عاناه و يعانيه من لوعة الهجر و الفراق .

2- ذكريات حب إبراهيم ناجي :

أثارت ذكريات إبراهيم ناجي الكثير من الألم ، فلقد تذكّر ماضٍ سحيق ، و حب محروم تغلغل في كيانه و سيطر على مشاعره إذ أنه عاش على معاهدة الذكريات ، فبنى بيتا في غيبات كيانه جدرانه ماض أليم و سقفه معاناة مريرة ، و نوره ذلك الحب المحروم إذ عاش بين أحضان تلك الذكريات ذكريات حب قديم ، حيث كان يتواعد مع محبوبته و يتبادلان أسمى عبارات الحب و الوفاء ، و يتعاهدان على الود و الإخلاص ، و يتبادلان رسائل يبثان فيها أشواقهما و غرامهما ، تلك العبارات حفرت عميقا في كيانه ، فأنتجت رومانسية مؤثّرة نشدت أجمل القصائد و الأشعار بخاصة إذا تعلّق الأمر بفناء محتوى تلك الرسائل و طيّ صفحات ذلك الحب ، فلم تعد تعني له إلاّ ذكريات مؤلمة و مريرة .

يقول في قصيدة " الرّسائل المحترقة " :

« ذوت الصبابة و انطوت و فرغت في آلامها .

لكنني ألقى المنايا في بقايا جامها .

عادت إلي الذكريات بحشدها و زحامها .

في ليلة ليلاء أرّ قتني عصيب ظلامها .

هدّأت رسائل حبّها كالطفل في أحلامها .

فحلفت لا أرقدت و لا ذاقت شهي منامها .

أشعلت فيها النار ترعى في غزير حطامهـــا .

تغتال قصة حبنا من بدائها لختامها .

أحرقتها و رميت قلبي في صميم ضرامها .

و بكى الرماد الآدمي على رماد غرامها .»[100]

تعكس هذه القصيدة نفسية الشاعر الحزينة الكئيبة المتألمة لتذكره ماضٍ سحيق و حبٍ دفين إذ وقف حزينا متذكّرا فترة ريعان شبابه ، أين كانت مشاعره متدفّقة حيّة ، و حبّه في أوجّه و صفائه لكن قصّة حبّه هذه تلاشت مع الأيام و اندثرت و لا يوجد ما يذكره بتلك القصة الزائلة الحزينة المؤلمة إلاّ بقايا رسائل حب كانت ترسلها المحبوبة التي مازال يحتفظ بها فهاجت مشاعره في لية ما اللّيالي و قام بجمع هذه الرّسائل وسط بحر من الهموم و الأكماد و الغضب و أضرم النار فيها بعد أن سبقتها نار غضبه ، لكنّه بعد حرقها وقف أمامها متألما متحسّرا على ذكريات ذلك الحب ، و كأنّه أحرق قلبه معها ، و بالتالي أحرق جسده بالكامل ، فأصبح هو بمثابة رماد إنسان ، و تلك الرسائل المحترقة رماد الحب و الغرام .

يقول في قصيدة " الأطلال " :

« يا فؤادي رحم الله الهوى كان صرحا من خيال فهوى .

اسقني و اشرب على أطلاله و أروعني طالما الدمع روى .

كيف ذاك الحب أمسى خبرا و حديثا من أحاديث الجوى .

100- إبراهيم ناجي : ديوان ليالي القاهرة ، ص 61 .

و بساطا من ندامى حلمٍ هم تواروا أبدا ، و هو انطوى .»[101]

يبتدأ الشاعر قصيدته بمخاطبة فؤاده و الترحّم على حب زائل واهم يثير في نفسه نزعة الألم ، إذ أنه وقف كما وقف القدامى على أطلال المحبوبة يتذكر الأيام الخوالي و الزمن الجميل ، و حباكان يتباهى به في الماضي ، و اليوم أصبح مجرّد بقايا ديار لذلك أصبح ما يسمى بأطلال الذكريات .

و يواصل حديثه في قصيدة " الأطلال " :

« يا غراما كان مني في دمي قدرا كالموت ، أو في طعمه .

ما قضينا ساعة في عرسه و قضينا العمر في مأتمه .

ما انتزاعي دمعة من عينيه و اغتصابي بسمة من فمه .

ليت شعري أين منه مهربي أين يمضي هارب من دمه ؟

لست أنساك و قد ناديتني بفم عذب المناداة رفيق .

و يد تمتد نحوي كيد من خلال الموج مدت لغريق .»[102]

ألم الشاعر في هذه الأبيات عميق جدا إذ اعتبر ذلك الحب كل شيء في حياته ، فهو دم يسري في عروقه ، تجرّع مرارة طعمه ، و هذا الغرام كان مقدّرا له كالموت ، و كلّه حزن و ألم و مأتم ، إذ تربّع على عرش قلبه ، و قضى عمره كله في مناجاته على أمل نجاحه و تبلوره من جديد ،إذ أنّ عمره ذهب سدًى و لم يكن وعدها إلاّ وهما و سرابا ، رغم أنّه مازال يعدها بعدم نسيانها أو نسيان تلك الذكريات التي تحييه مرّة ، و تميته أخرى ، فقد كانت

101- إبراهيم ناجي : ديوان ليالي القاهرة ، ص 33 .

102- نفسه ، ص 34 .

بمثابة الشافي لجروحه ، و النو الذي يضيء سماء عرشه و مملكة حياته ، كما يتذكر أماكن اللّقاء و يستشعر تلك المشاعر الجيّاشة التي كانت تجمع بينهما و التحسّر عليها .

يقول في قصيدة " بقايا الحلم " :

« حلم مرّ كما مرّ سواه و كذا الأحلام تمضي و الحياة .

أين يا ليلاي عهد الهرم ؟ أين يا ليلاي حلو الكلـم .

هامسات بين أذني و فمي ساريات غردات في دمي .

كلمات عذبة معسولة صيغت وارحمتا للقسم .

ذهبت مثل ذهاب الحلم إنني أعلم ما لم تعلمي .

كيف صدّقنا أضاليل الهوى بنهى طفل و إحساس صبي ؟

حسبنا منه سماء لمعين فوق رأسنا و كوخ خشبي ؟

حلم و لّى و وهم لم يدم ما تبقى غير خيط ذهبي !»[103]

حسرة ناجي قوية و تمنيه لقاء الحبيب كبيرة ، ولم يبق من ذكراه إلاّ بقايا حلم زائل ، فقد تكاثفت الهموم في نفسه ، و بات يشعر باليأس عندما أضعفه الوجد ، يروّح عن نفسه و يتناسى أوجاعه باستذكار ما أسرّه من الحبيب ، و ما كان بينهما من أيّام سعيدة ، أيّام الود و الصفاء ، فكانت الذكريات خيط الأمل الذي يتمسّك به بقوة و يأبى تركه ، بل و يتلذّذ بعذاب تذكرها ، لأنها تومض بداخله ومضات الأماني و الرّجاء بعودة تلك الأوقات ، معلّلا نفسه بالتمنّي علّه يجد فيه ما يريح نفسه و يحدّ من شجوها و ألمها ، رغم علمه أنّ ذلك

103- إبراهيم ناجي : الطائر الجريح ، ص 10 .

التمني ما هو إلاّ أمل ضائع يسعى إلى إدراكه و عذاب يؤرّقه و يذهب النوم عن جفنيه فهو مستعد لاحتضان كل ما من شأنه أن يذكره بها ، و يحتفظ بها كأمانة و وديعة .

يقول في قصيدة " وقفة على دار " :

« قف يا فؤادي على المنازل ساعا فهنا الشباب على الأحبة ضاعا .

و هنا أذل إباءة متكبّر أمرت عيون قلبه فأطاعا .

أحست بالداء القديم و عادني جرح أبيت لعهده إرجاعا .

و مشى مع الأمل الذهول كأنما طارت بلبّي الحادثات شعاعا .

كثرت علي متاعبي فمحونني و محون حتى السقم و الأوجاعا .

يا من هجرت لقد هجرت إلى مدى فإلى اللّقاء و لن أقول وداعا .»[104]

تعاظمت الشجون و الأحزان في نفس ناجي حين وقف على دار أحبته لأنّ الديار حلّت محلّ الحبيبة في إثارة عاطفة حبها ، و بما أنّ الحبيبة كانت تسكن تلك الديار صارت الحبيبة و ديارها شيئا واحدا ، لذلك ينفّس عن وحدته باسترجاع ذكريات الماضي الجميل ، و أيام الشباب الزائلة ، ليطلق صرخة داخل نفسه و يسترجع سنوات عمره في ديار المحبوبة و هذه الصرخة تنم عن ذلك الإحساس المرهف ، و الشعور الحزين ، و القلب المتوجع غير أنه يواسي نفسه المجروحة دائما بأمل اللّقاء من جديد لذلك فضّل استعمال لفظة " اللّقاء " على لفظة " الوداع " ، لأنّ في " اللّقاء " أمل العودة أمّا " الوداع " فلا أمل في ذلك .

يقول في قصيدة " وحيد " :

« إني على كأسي أعيد السنين و أبعث الماضي البعيد الدفين .

104- إبراهيم ناجي : ليالي القاهرة ، ص 103 ، 104 .

وحدي و قد أقسمت لن تعرفي و ما الذي يجديك لو تعرفين ؟

و ما الذي يجدي طعين الهوى لمسك يا هند جراح الطعين ؟

أصبحت لا أدري شربت الطلى عند بكائي أم شربت الأنين ؟»[105]

تمثّل الوحدة حالة من حالات الحرمان الحسي عند ناجي ، إذ أنها تطلق مخزوناته الباطنية لتصوّر العزلة التي يحقّقها العيش بين الذّكريات ، ما ولّد لديه القلق و الاكتئاب فعاش الألم و الاغتراب ، و تعمّق لديه الشعور بالوحدة التي عاشها تحت وطأة الذكريات التي أغرق نفسه في أساها ، و طحن نفسه بيأس صداها ، و ضاقت روحه بعزلتها ، لذلك حاول الشاعر بثّ مأساته محاولا التخلّص من قيود ماضيه ، باثا زفرات التحسّر و الوله التي ملأت قلبه حين راح يستذكر الماضي الذي أرّقه و حجب عنه كل ما يبتغيه من ملذّات الحياة و زخرفها ، باستذكار لحظات حياته السابقة التي باتت حلاوتها تتحوّل إلى مرارة و تزداد بفعل واقعه القاسي ، و يسعى إلى أن يعيش لحظات جميلة يبتعد بها قليلا عن واقعه المر ، لكن هذه اللّحظات ما هي إلاّ حلم يراوده لا بدّ له أن يتبخّر ، لأنّه في نهاية المطاف ما هوّ إلاّ ذكريات مضت و سحقت .

يقول في قصيدة " ثلاث سنين " :

« ثلاث سنين أم ثلاث ليال هي البرق أم مرّت كلمح خيال .

و ما كان هذا العمر إلاّ صحائفا تلاشت ظلالا رحن إثر ظلال .

و ما كان إلاّ أمس لقياك إنّه لأثبت ما خطّ الزمان تبالي .

و ما العمر إلاّ أنت و الحب و المنى و ما كان باقي العمر غير ضلال .»[106]

105- إبراهيم ناجي : الطائر الجريح ، ص 49 .

106- إبراهيم ناجي : ليالي القاهرة ، ص 91 .

مضت سنين حب ناجي كلمح البصر و كأنه لم يلبث إلاّ عشية أو ضحاها ، فبالأمس التقى حبيبته و عاش معها أجمل لحظات حياته ، و اليوم ابتعدت و لم تعد إلاّ بقايا ذكرياته معها هاجسا يعرقل مسار حياته .

يقول في قصيدة " الأطلال " :

« لست أنسى أبدا ساعة في العمر .

تحت ريح صفّقت لارتقاص المطر .

نوّحت للذكر و شكت للقمر .

و إذا ما طربت عربدت في الشجر .»[107]

كم صعب نسيان ذكريات الحب ، فالحبيب دائما يتذكّر كل لحظة من لحظات حبّه التي قضاها مع حبيبته ، ففي كل خطوة يخطوها كانت رفيقته ، فكيف يواصل حياته و هي بعيدة عنه و كل شيء يذكره بها ؟ لذلك كانت تلك الذكريات جرحا عميقا صعب الالتئام ، و كذا صعب النسيان ، إذ يبكي شجوّه و ذكريات ماضيه السعيد التي تحوّلت إلى سم يتجرّعه كل يوم أو في كل ثانية من ثواني حياته و يترنّح تحت وطأتها وجعا و ألما و راهنه الزمن أن يستسيغ مرارة تلك الذكريات ، و يغذي بها روحه الكئيبة ، بل و يستلذ باسترجاعها و عيش حلاوتها من جديد ، بخياله الواسع ، و أوهامه التي لا تنتهي .

يقول في قصيدة " أذكري " :

« أذكري ذاك المساء كيف كنّا سعداء .

لم يدع عندي هما و محا عنك الشقاء .

107- إبراهيم ناجي ، ليالي القاهرة ، ص 43 .

ملأ الدنيا صفاء عندما شئت و شاء .

أحسن الدهر إلينا بعد أن كان أساء .»[108]

يوجّه الشاعر خطابه إلى حبيبته إذ يطلب منها من خلاله تذكّر أمسية من أمسيات نشوتهما و لقائهما ، و مقدار السعادة التي كانت تغمرهما و هما معا ، حيث نسيا همهما و شقاءهما و تنعّما بصفاء الدنيا و نقائها ، فكيف يمكن للشاعر أن يتجاهل تلك الذكريات التي كانت سرّ سعادته ، و سبب استمراره إذ تعد أغلى ما يملك ، و الشيء الوحيد الذي بقي له من حبيبته ، إذ سعد باسترجاعها و جعلته يعيش في عالم آخر ، و جنّة وضع لبناتها بيديه و رسم صورتها بمخيّلته ، و عاش عليها مع حبيبته أحلى أيام حياتهما ، و كأنهما الوحيدان اللّذان يعيشان على وجه الأرض لا يحسّان إلاّ ببعضهما و لا يشعران بمن حولهما فكيف له أن ينسى ذكرياته معها ؟ و هي التي تمدّه بالحياة كما تمدّه بالسعادة الوهمية التي عاشها و يستلذّ استذكارها .

يقول في قصيدة " قصة حب " :

« مرّت حياتي دون أمنية و تقلبت مللا على ملل .

حتّى لقيتك ذات أمسية فعرفت فيك مطالع الأمل .

طافت بي الأيام واحدة لم تلقني فرحا و لا جزعا .

و تمرّ فارغة و حاشدة و قد استوت ضيقا و متسعا .

و العمر سار كأنّه العدم سقمي به عندي كعافيتي .

فأذقتني ما لم يذقه فم من أي كأس كنت ساقيتني ؟»[109]

108- إبراهيم ناجي ، ليالي القاهرة ، ص 60 .

109- إبراهيم ناجي ، الطائر الجريح ، ص 22 .

كانت حياة ناجي تمرّ دون أحلام أو أماني يعيش الملل و الكلل ، إلى أن جاءت حبيبته و دبت فيه الأمل و جعلته يرسم خطى حياته معها فاسترجع كل شيء جميل زرعته في حياته أو كانت هي السبب في وجوده ، فقد جعل منها شمسا في النهار ، و قمرا في اللّيل و شروقا في الضّحى و غروبا في المغرب ، جعل منها أكسجين الأرض ، و ثمرة الشجر فكانت الذكريات ذلك الاكسجين الذي يجعل حياته تستمر ، فكيف له أن يعيش دون أكسجين أو يستمر دون ذكريات .

يقول في قصيدة " بقية القصة " :

« كم ذكريات عزيزة مرّت عليّ ! فكنت أغلاهن .

حتّى إذا غفت الصبابة و انقضى ما بيننا أقبلت أسألهن .

و سألت عنك العمر ماضيه و حا ضره فكان العمر أنت و هنّ .

و الله ما غدر الزمان و إنما هانت عليك الذكريات و هنّا .»[110]

لم يبق من اثر حبيبة الشاعر إلاّ ذكريات يستنشق عبقها بين الآونة و الأخرى ، لذلك كانت أغلى ما يملك رغم ما أحقته به من ألم و معاناة و أسى و شقاء ، فكانت بمثابة الشوكة التي تدمي قلبه و تجلب له الهم و النكد ، و توقظ في وجدانه مشاعر الألم ، و توخز مشاعره و عواطفه بكل عنف و قسوة ، مخلّفة بذلك جرحا عميقا و طعما مريرا أليما و سقيما ، لكنّه رغم ذلك اعتبر تلك الشوكة أجمل وردة تزيّن قصر حياته و اعتبر ألم الذكريات عليل ناعم ، إذ صنع منها باقة كبيرة زيّن بها أوسع غرف حياته ، و أطلق عطرها فكان من أعبق الرّوائح ، لذلك يتسلّى بمرارتها ، و عندما يحاول التذكّر يتألّم لحلاوة

110- إبراهيم ناجي : الطائر الجريح ، ص 35 .

الذّكريات ، لذلك يشعر بتلك الأنّات و الآهات التي باتت رفيقة قلبه و أنيسة دربه لأنّ كل شيء فيه ذكرى الحبيب .

يقول في قصيدة " ظلام " :

« عبثا أهرب من نفسي و من ذلك الساكن روحي و بدني .

من لقلب مستطار اللّب من كلّما عاوده التذكار جن ؟!

أينما أمضي فحولي ذكر و حبيب و مكان و زمان .

و ربيع دائم الخضرة في روضة النفس و طير و فتن .»[111]

بقيت الذكريات تهزّ نفس ناجي و تؤلمه ، لأنّها قد سكنت روحه و جسده ، فكل شيء في حياته فيه ذكرى لحبيبته الضائعة ، لذلك يعيش متشائما كثير التوجّع و التذمّر و ذكر الماضي ، و ظلم الأيام له التي جعلته ضعيف الإرادة فاقد الصّبر ، فتلك الذكريات أزهقت روحه ، و أسقطت دمعه مع استحالة عودتها من جديد ، فعيب الأيام أنّها ذكريات و عيب الذكريات أنّها لاتعود ، فإن عادت لم تعد إلاّ أوهاما و خيالا ، لا تثير إلاّ الحزن و الحسرة و الالم ، لكن رغم ذلك بقيت القطرة التي تبث فيه الحياة من جديد ، فهي بذلك كالبحر الواسع يحتضن سمكة ، إذا خرجت منه بضع ثوانٍ شدّ النسيم خناقها و فقدت حياتها ، و الأمر نفسه بالنسبة لناجي الذي لا يستطيع العيش دون ذكرياته مع حبيبته التي بقيت أنيسه الوحيد في عزلته المقيتة ، و جعل من تلك الذكريات استرجاعا لحياة فقدها .

يقول في قصيدة " العودة " :

« دار أحبابي و حبي لقيتنا في جمود مثل ما تلقى الجديد .

111- إبراهيم ناجي : الطائر الجريح ، ص 47 .

أنكرتنا و هي كانت إذ رأتنا يضحك النور إلينا من بعيد .

رفرف القلب بجنبي كالذبيح و أنا أهتف يا قلب ات-د .

فيجيب الدمع و الماضي الجريح لما عدنا ؟ ليت أنا لم نعد .

لما عدنا ؟ أو لم نطو الغرام و فرغنا من حنين و ألم .

و رضينا بسكون و سلام و انتهينا لفراق كالعدم .»[112]

خلقت بقايا الديار و الطلل عاطفة الشوق و الحنين لذكريات المحبوبة و أيامها معا فتلك الديار كانت مسرحا لأحلام الشاعر و حبه فصدم عندما عاد و وجدها بقيا ديار ، مثلما أصبحت أحلامه بقايا ذكريات ، عندئذ شعر بالحزن و الألم ، فكان قلبه يخفق بقوة كطائر مذبوح ، تكاد روحه تنفصل عن جسده ، لذلك انهالت دموعه بغزارة ، و عادت ذكرياته المؤلمة و الجريحة ، مصحوبة بندم العودة بعد أن تخلّص من حبه و حنينه ، لكن هذه الذكريات عادت إليه من جديد لتسدل عليه ستار الوجع و المعاناة التي جعلته حزينا كئيبا أشبه ما يكون بأوراق الخريف الصفراء ، لذلك كانت حسرته كبيرة لماض جميل ذهب ، و أحلام حلوة ضاعت .

يواصل ناجي بث شجون ذكرياته في قصيدة " العودة " قائلا :

« أين ناديك و أين السمر أين أهلوك سباطا و ندامي ؟

كلما أرسلت عيني تنظر وثب الدمع إلى عيني و غاما .

موطن الحسن ثوى فيه السأم و سرت أنفاسه في جوه .

و أناخ اللّيل فيه و جثم و جرت أشباحه في بهوه .»[113]

112- إبراهيم ناجي : وراء الغمام ، ص 13 .

113- نفسه ، ص 14 .

استرجع ناجي أيام السمر حيث يسأل تلك الديار عن ذلك السمر و هؤلاء الأهل الذي كانوا يملئونها فرحا و سرورا و اليوم أصبحت مقفرة كئيبة حالها كحاله الحزين ، لكن ذكرياته ما تزال حية في قلبه ، فعودته للماضي هي عودة للنجوى و وفاء للذكر و انسكاب للعبرات.

لذلك بكى ناجي فراق الحبيبة و تألم لذكراها ، و عاش الحسرة و المرارة التي تطفو فوق خلجات ذاكرته .

3-<u>الشوق و الحنيــن</u> :

حب إبراهيم ناجي صادق بريء ، ينبع عن عاطفة نقيّة و مشاعر جيّاشة ، بنى سرحه و حلم بنجاحه و استمراره ، لذلك أثار ترك حبيبته له صدمة كبيرة و معاناة عميقة ما جعله ينصهر في نار الحزن الداكن و الانطواء المقيت و الألم المميت ، و احترق بنار الولع و الشوق لأيام الزمن الجميل حنين إلى حب صار جروحا صعبة الالتئام ، شديدة العمق و الآلام .

شوق إبراهيم ناجي لحبيبته نابع عن ترسّخ ماضيها في كيانه إذ عسر عليه نسيانها أو محو ذكراها ، فكل شيء في حياته يذكره بها و هذا ما يثير عاطفة الشوق إليها .

يقول في قصيدة " الأطلال " :

« يا حبيبا زرت يوما أيكه طائر الشوق ، أغني ألمي .

لك إبطاء الدلال المنعم و تجني القادر المحتكم .

و حنيني لك يكوي أعظمي و الثواني جمرات في دمي .

و أنا مرتقب في موضعي مرهف السمع لوقع القدم .

قدم تحطو ، و قلبي مشيه موجة تحطو إلى شاطئها .

أيّها الظالم بالله إلى كم أسفح الدمع على موطئها .

رحمه أنت فهل من رحمة لغريب الروح أو ظامئها .

يا شفاء الروح ، روحي تشتكي ظلم آسيها إلى بارئها .»[114]

يخاطب الشاعر حبيبته التي فارقته و يبثّها شوقه و ألمه ، و مدى تأثّره العميق بفقدانها إذ أنه بقي معذبا في حبها ، سقيما في غرامها ، لا يقدر الإفلات من جاذبيتها إلى فتاة أخرى ، و حنينه لها كوى عظامه و شغل باله ، يترقّب طلوع الفجر و ساعة الفرج علّه يكحّل عينيه برؤيتها و يشفي و لعه بمحادثتها ، فكلّما مرت ثانية و هو بعيد عنها اشتعل شوقه لهيبا ، و جرت جمرات الحنين في عروقه ، و لا سبيل للتخلص من ذلك إلاّ الانتظار و الاحتساب و الترقب و التوقع .

يقول في قصيدة " في الظلام " :

« أ ليلاي ما أبقى الهوى في من رشد فردي على المشتاق مهجته ردُّي .

أينسى تلاقينا و أنت حزينة و رأسك كاب من عياء و من سُهد .

أقول و سدته راحتي كما نوسّد طفل متعب راحة المهد .

تعالي إلى صدر رحيب و ساعد حبيب و ركن في الهوى غير منهد .»[115]

قلب ناجي يقطر دما و حزنا و ألما لما حلّ به من معاناة الحب و الهوى و ما سبّبه له من شوق و حنين ، أذهب النوم عن جفنيه صعوبة نسيان ذكرياته مع الحبيبة التي يحن إليها كلّما راودته ، إذ يطلب منها القدوم إلى القلب الذي أحبّها و الصّدر الذي اكتنفها ، و

114- إبراهيم ناجي : ليالي القاهرة ، ص 39 ، 40 .

115- نفسه ، ص 10 .

العينان اللّتان تشتاقان لرؤيتها حيث بث صورته القلقة التي رسمها بدقة ، و التي تبرز جانبا من عذاباته و انفعالاته ، فيها نغمة عزفت على أوتار الحيرة لتثمر نفسية حزينة جسّدت معنى التيه و الحيرة ، و صوّرت شخصيته القلقة و المضطربة ، حملت الهم بين ضلوعها حين غدا لا يسمع سوى صدى صوتها الذي يرد على صرخاته المدوية .

يواصل شكواه في قصيدة " الظلام " قائلا :

« هنيئا لقلبي ما صنعت و مرحبا و أهلا به إن كان فتكك عن عمد .

فإنّي إذا جنّ الظلام و عادني هواك فأبديت الذي لم أكن أبدي .

و ملت برأسي كابيا أو مواسيا و عند من الأشجان و الشوق ما عندي .

أقبّل في قلبي مكانا حللته و جرحا أناجيه على القرب و البعد .»[116]

يعبّر الشاعر عن حاله في اللّيل عندما حلّ الظلام و سكن الخيل ، و تهاطلت عليه الذكريات و الآلام و الأشواق ، يحنّ لكل موضع حلّت به الحبيبة ، و يناجي كل الجروح التي سببتها له ، كما كانت صرخاته المدوية تصعد عاليا ، لأن هذه الدموع هي دموع الحرقة و شقاء الحياة و سوادها .

إبراهيم ناجي شاعر مدمى القلب و المشاعر ، مرهف الأحاسيس ، جيّاش العواطف قطّعه الألم و الحب ، و جعله فريسة للولع و الأشجان و الذكريات لذلك تسيطر عليه خيبة الأمل و الشوق الكبير الذي مزّق كيانه .

يقول في قصيدة " الحنين " :

« أمسى يعذّبني و يضنيني شوق طغى طغيان مجنون .

116- إبراهيم ناجي : ليالي القاهرة ، ص 10 .

أين الشقاء و لم يعد بيدي إلاّ أضاليل تداويني ؟

أبغي الهدوء و لا هدوء و في صدري عباب غير مأمون .

يهتاج إن لجّ الحنين به و يئن فيه قضبان مسجون .

ويح النين و ما يجرعني من مرّه و يبيت يسقيني .»[117]

زاد شوق الشاعر لحبيبته حتى أمسى يعذبه و يؤرقه ، فيتعامل مع شوقه و حزنه تبعا لنفسيته و شدة آلامه ، و يعكس ذلك العذاب سهر اللّيالي الطوال و جفاء النوم من الجفان أملا أن يطفئ نار شوقه المتأججة في صدره التي تحبس أنفاسه ، و تزهق روحه لأن أنينه نابع من عمق نفسيته المليئة بالأحزان و المتخبطة بين حبال الشوق و المعاناة ، فانسالت مشاعره في ذاك الحنين و الأسى و تدفّقت عواطفه ، و سالت دموعه لحب انقضى و شوق تأجّج في قلبه لا يجد سبيلا للتخلّص منه ، فكانت عباراته و دموعه ترجمان لكل تلك الاختلاجات التي تؤرّقه .

يقول في قصيدة " ليالي الأرق " :

« هل في العصيب المدلهم مصغ لشاك لم ينم .

سهد على سهد و ذكـ رى فوق ذكرى تزدحم .

و حنين قلب لا يثو ب إلى خيال لم يلَم .

يا من أحب و أفتدي و يلذ فيه الألم .

لو كنت تسمع لاسترحـ ت من الشكاية للظلم »[118]

117- إبراهيم ناجي : وراء الغمام ، ص 16 .

118- نفسه ، ص 46 .

يواصل ناجي شكواه في لياليه الطويلة و المظلمة التي أرقته ، باحثا عن مصغٍ يخفف عنه وجعه أو ساهر يؤنسه في وحشة ليله ، و يوصل أشواقه إلى حبيبته التي كوت قلبه و أدمت وجدانه ، و رغم ذلك يتلذّذ بذلك الألم الذي سببته له صاحبته ، و يجد منه الأنيس الذي يلهيه فقد الحبيب ، إلاّ أنّ نفسه تبقى متألمة حزينة ، و روحه شقية و مكتئبة ، إذ يزيد شوقه للحبيب الغائب ، و يطلق صرخاته أملا أن يطفئ نار شوقه المتغلغلة في صدره ، إلاّ أنه لا يسمع إلاّ صداها و نغمات أنينه التي تنشد ألحانا حزينة تدغدغ مشاعر الحزن و الألم في نفسه ، بعد أن غلب الحنين و الشوق صبره و سيطر على فؤاده .

يقول في قصيدة " ساعة لقاء " :

« يا حبيب الروح يا روح الأماني لست تدري عطش الروح إليكا .

و حنيني في أنين غير فاني للتردي أشربه من مقلتيكا .

آهٍ من ساعة بثٍّ و شجون و لقاء لم يكن لي في حساب .»[119]

تعطش الشاعر لرؤية حبيبته من جديد ليبثها حنينه الكبير ، و قلبه المتوجّع اشتياقا لها آملا أن تخمد جمرة الحب بين جوانحه بقربها منه ، و لقائه بها ، هامسا لها بأشواقه التي أضنته و أدمت قلبه إذ عجز عن كف دمعه المنهمل ، و صدّ خيالها المؤرّق التي توقد بداخله جمرات شوقه فتجعله أشبه بأسير مقيّد بالأغلال ، أغلال شوق و جمرات حب ملتهبة تجتاح قلبه الحسّاس و تعصره حزنا و ألما .

يقول في قصيدة " تحليل قبلة " :

« و لما التقينا بعد نأي و غربة شجين فاضا من أسى و حنين .

119- إبراهيم ناجي : وراء الغمام ، ص 10 .

تسائلني عيناك عن سالف الهوى بقلبي و تستقضي قديم ديون .

فقمتو قد ضجّ الهوى في جوانحي و أنّ من الكتمان أي أنين .

يبثّ فمي سرّ الهوى لمقبّل أجود له بالروح غير ضنين .

إذا كنت في شك سلي القبلة التي أذاعت من الأسرار كل دفين .

مناجاة أشواق و تجديد موثق و تبديد أوهام ، و فض ظنون .»[120]

يصوّر ناجي مشهد لقائه مع حبيبته و حاله الحزين الذي يفيض أسى و حنينا ، محاولا إيجاد سند لأشواقه التائهة ، و أن يضمد وجعه الصادر عن عمق نفسيته المليئة بالأحزان و الآلام و اللّهفة الحارة و الحزن المستثار ، و أنّات صدر متصدّع الأنفاس ، و لهاث لوعة باتت تقدح قلبه المشتاق شظايا من شرارة نار حبه ، إذ تنوح على حبيبها نواحا يدفع إلى الإحساس بعمق التجربة القاسية و المريرة لأنّ صاحبته كانت بمثابة اللؤلؤة المزروعة في قلبه و التي تلمع و تشعّ بقوة و مجرّد انحرافها يجعل قلبه يلتهب و يشتعل نارا ، و يزيده اشتعالا دموعه التي أحرقت عينيه و انهمرت دون توقف و التي تعبّر عن شوق كبير ، و حنين لا يمكن أن يوصف يقول في قصيدة " الغد " :

« هات قثاري و دعني للخيال و اسقني الوهم ! و علّل بالمجال .

و دع الصدق لمن ينشده الحجى خصمي فاغمره بالضلال .

و خذ الأنوار عني ربما أجد الرحمة في جوفي الليالي .

خلّني بالشوق أستدني غدا فغدا عندي كآياد طوال .»[121]

120- ناجي إبراهيم : وراء الغمام ، ص 38 .

121- نفسه ، ص 62 .

دغدغت الدموع عيني ناجي و انهمرت دون توقف فكانت ترجمان حزنه ، وزيادة حنينه مع زيادة سخطه و زيادة شوقه مع زيادة أمله في اللّقاء ، لذلك كانت عيناه تدمع دمعا كالسراب إذ لا يستطيع إخفاء وجده و إن أخفاه فضحته دموعه التي ما تنفك تنهمر على خدّيه و هذا دليل على براءة مشاعره و صدقها من جهة و حزنه العميق و المرير من جهة أخرى حيث فضّل ظلمة اللّيالي على أنوار النّهار علّ ذلك الظلام يسدل عليه ستار الرحمة ، و يمدّه بالرّاحة التي يفتقدها و يحتاج إليها و يتمنّى عودتها من جديد علّها تغمر حنينه الذي يشدو في كل زاوية من زوايا حياته .

يقول في قصيدة " رجوع الغريب " :

« عادت لطائرها الذي غنّاها و شدا فهاج حنينها و شجاها .

أي الحظوظ أعادها لوفيّها و نجّى وحدتها و إلف صباها .

مشبوبة التحنان تكتم نارها عبثا و تأبى أن يبين لظاها .

يا إلفي المعبود أسرّوك ودائع نار الحنين دفينها أفشاها .

ماذا لقينا من لقاءٍ خاطفٍ و عشيةٍ كالبرق حان ضحاها ؟!»[122]

تفاقم حنين ناجي و كبر أكثر لذلك يناجي كل مخلوق قد يصادفه أمامه و يبثه أشجانه و أشواقه آملا أن يوصلها إلى حبيبته ، لذلك نلتمس تلك الحرقة الحنينية تنبثق من كيانه و وجدانه ، و تنفجر صفاءً و نقاءً ، حزنا و ألما إذ يقف عاجزا أمام تلك الأشواق التي أرهقته و جعلته هائم النفس و الفكر ، حائر الذهن لا يهدأ له قرار و لا يتسع له مكان ، لأن حبّه أكبر من أن يستقرّ في موضعٍ أو يحمله قلب إنسان أو يشعر بناره و حرقته أحد ، نار كوت

122- إبراهيم ناجي : وراء الغمام ، ص 57 .

مشاعره و استلبت عواطفه ، و قتلت كل ما هو جميل في حياته ، أو كل ما ينبض بالسعادة و الهناء .

يقول في قصيدة " في ليلة غارة " :

« يا ميّةُ الحسناء هل يغزو الهوى قلبين ما كانا على ميعاد ؟

لا شيء إلاّ أن ذكرتِ فهزّني طرب و بات على الحنين فؤادي .

و ظللت أحلم و التفت لساعة تدنو إليّ بطيفك الميّاد

يا ميّ إن قد منيت بظلمة و اللّيل يجثم فوق صدر الوادي .

فأنرتِ لي قلبي و صرت كأنّما هذا السواد الجهم غير سواد .»[123]

كانت حبيبة الشاعر زهرة حسناء ترمز للسلام و النقاء لذلك كان حنينه لها يهز فؤاده و يطرب وجدانه ، و ظلّ يحلم بها و بالساعة التي سيلقاها فيها ، و بقي طيفها الميّاد يدنو منه و يراوده في كل لحظة من لحظات حياته ، هذا الطيف أنار قلبه سوادا و ظلمة ، و أصبح بمثابة الشوكة السوداء التي تزعجه في الضحى و المساء و لكن رغم ذلك الأسى و الألم الذي سببته له إلاّ أنه بقي يتشوق للقائها و تكحيل عينيه برؤيتها .

يقول في قصيدة " خطاب " :

« قبلت خطّك ألفا و لم أدع منه حرفا .

قد كنت توأم قلبي و كنت في الغيب ألفا .

يا هند ما الحسن إنّي أجل حسنك و صفا .

123- إبراهيم ناجي : الطائر الجريح ، ص 119 .

رأيته بخيال على جمالك زفا .

و كيف أخفي اشتياقي ؟! ما بيننا ليس يخفى !»[124]

كانت حبيبة الشاعر بمثابة توأم قلبه و شقيقة روحه ، فكان كل شيء في حياته يثير فيه لوعة الاشتياق ، فقد أخذ الرسائل التي كانت ترسلها له و أخذ سطرا سطرا ، و كلمة كلمة و حرفا حرفا علّها تغمره و نسيه بعض أوجاعه التي أدمت فؤاده ، وأصبح قلبه من شدّة الألم يئنّ و يحتضر ، إذ يجتر حزنه على مهل و يتذوّق أشجانه اشتياقا لها ، و أملا في عودة حبيبته إليه ، لترنو إليه في الأخير جراحه متعبة مجهدة ، بعد أن أنهكته و لم يعد يقوى على إخفاء مصابه و حبّه الكبير ، حب قتل في سبيله ألف مرّة ، و ضحّى من أجله بالكثير لعلّ لأهمّها شبابه الضّائع فداها ، و حلمه الفاني في شقاها ، ففي قلبه داء مستعصي الشفاء ، أتعب العلماء من إيجاد دواء له ، دواء يضحك القلب و يعيد إليه بهجته و بريقه و يبثّ فيه الحياة بعد الذبول .

يقول في قصيدة " خاطرة " :

« نار من الشوق إثر نار فلا هدوء و لا قرار .

إنّك لي مبدأ و عوْد منك إلى صدرك الفرار .

يا مرفأ الروح لا تدعني بلا دليل و لا منار .

إن أنت أخلفت وعد حبي لم تؤوني في الديار دار .

و ليس لي في الهوى اصطبار و ليس لي دونك اختيار .»[125]

124- إبراهيم ناجي : الطائر الجريح ، ص 117 .

125- نفسه ، ص 36 .

لشدّة حنين الشاعر و عمق جسيه لبعد الحبيبة عنه يرسل لها أشواقه متمنيا أن تخمد جمرة الحب بين جوانحه بقربها ، باثا في ثنايا أشواقه آلامه و معاناته ، إذ أضناه الوجد و الهيام ، فانسابت مشاعره في ذلك الحنين و الأسى ، و هجر النعاس جفنيه لاكتواء قلبه بنار الجوى .

فالعيش معها حلم ، و بعدها سم ، و شوقه لها دم يسري في عروقه .

4-<u>الخيـــانـــــة</u> :

تعد الخيانة أصعب شيء يمكن أن يتعرّض له الإنسان خاصة إذا تعلّق الأمر بشخص قريب ، أو حبيب بنيت عليه آمال كثيرة ، فخيانة الغريب يمكن أن تنسى أو تمحى ، أمّ خيانة القريب فتحفر عميقا في القلب مخلّفة بذلك جراحا صعبة الإلتئام ، لا تسبّب إلاّ الألم و المعانة و الحسرة ، و هذا حال إبراهيم ناجي الذي تجرّع مرارة الخيانة و عانى بسببها الكثير .

يقول في قصيدة " بقايا حلم " :

« آهٍ من وجدك بالهاجر آهٍ نتمنى أن تراه ؟ لن تراه .

خدعتنا مقلتاه خدعتنا وجنتاه خدعتنا شفاه .

و الذي من صوته في مسمعي و خيالي غادر حتى صداه .»[126]

حسرة ناجي كبيرة و معاناته شديدة ، و خيانة الحبيب صدمة عنيفة ، إذ اعتبر كل شيء في حبيبته فيه رمز للخداع ، خداع في العينين ، و خداع في الوجنتين ، و خداع في الشفتين و الصوت و حتى غدر في صدى الصوت و هذا دليل على ألم الشاعر الكبير إثر

126- إبراهيم ناجي : الطائر الجريح ، ص 10 .

تعرّضه للغدر و الخيانة التي خلّفت الكثير من الحزن و الوجع ، جعله يعيش بين المد و الجزر العاطفي ، و يعاني لدغات الغدر و لسعات الحبيبة التي نهش و تجرح و تدمي و تسرح ، فقضت على كل الأحلام التي رسمها و تمنّى تحقيقها .

يقول في قصيدة " ظلام " :

« ذلك الحب الذي فزت به لا أبالي فيه ألوان الملامة .

ذلك الشطّ الذي ذقت به بعد لجّ البحر أمنا و سلامهْ .

إنّه مزّق قلبي قسوة و سقاني المرّ من كأس الندامة .

صار نارا و دمارا في دمي و صراعا بين قلب و كرامة .»[127]

اعتبر ناجي حبه أغلى شيء فاز به ، لذلك لم يعد يبالي بلومة لائم ، إلاّ أنّ تعرّضه للخيانة مزّق قلبه و حطّم كيانه ، و أضحى نار ملتهبة في وجدانه ، و أصبح يعيش في صراع بين قلبه الأسير حبّا و بين كرامته التي أصبحت في الحضيض لأنّ الخيانة أكبر صدمة يمكن أن يتلقّاها شاعر كناجي مرهف الحس ، جيّاش العواطف رقيق المشاعر إذ اكتوى قلبه بنار العشق و الغرام ، و سكبت عيناه الدّمع إسكابا أشبه ما يكون بانسكاب الشلاّل ، لذلك توجّع توجّعا كبيرا حين غدرت به صاحبته و تركته يصارع الموت و الموت يصارعه ، موت للقلب ، و ذبول المشاعر ، و فناء الرّوح الجميلة التي بقيت تشكوه أوجاع الخيانة.

يقول في قصيدة " الأطلال " :

« قد رأيت الكون قبرا ضيّقا ختم اليأس عليه و السكوت .

127- إبراهيم ناجي : الطائر الجريح ، ص 38 .

و رأت عيني أكاذيب الهوى واهيات كخيوط العنكبوت .

كنت ترثي لي و تدري ألمي لو رثى للدمع تمثال صموت .

عند أقدامك دنيا تنتهي و على بابك آمال تموت .»[128]

رغم اتساع الكون و رحابته غلاّ أنّ الشاعر يجد فيه قبرا ضيّقا أطبق ثراه عليه ، بعد غدر الحبيب به ، إذ أنّ حياته كانت عبارة عن أكذوبة هوى عاشها غافلا ، و يعيشها الآن متألّما ، بعد أن دفن آلامه و أحلامه عند باب حبيبته الخائنة ، لذلك كان حزنه و ألمه نابع من الصّميم ، و مفعم بنبرات الحزن و الكرب لتطلق رائحة العاشق الحائر المضطرب التائه الذي يبحث عن الملجأ الذي يلوذ إليه ليطفئ نار الغدر التي علقت في أحشائه ، و صرعت كيانه ، و أرهقت روحه ، و حطّمت روحه ، و مزّقت وجدانه ، و أضحت الأحزان تزلزل الكيان ، فأصبح منفيا في عالم البؤس و الشّقاء .

يواصل قوله في قصيدة " الأطلال " :

« و رأى الطعنة إذ صوبتها فمشت مجنونة للمقتل .

رمت الطفل فأدمت قلبه و أصابت كبرياء الرجل .»[129]

الخيانة طعنة كبيرة تخلف جرحا عميقا ، تجعل القلب معذبا ، و النفس مليئة بالحسرات ، و الروح متعبة ، و الدموع منهمرة مع هيجان بحور الغضب و السخط على الحبيب الخائن فما عساه يفعل أمام قلب مكسور ، و حب مفجور ، و روح تشتكي ألم الغدر .

يقول في قصيدة " الأطلال " :

128- إبراهيم ناجي : ليالي القاهرة ، ص 41 ، 42 .

129- نفسه ، ص 42 .

« ذهب العمر هباء فاذهبي لم يكن وعدك إلاّ شبحا .

صفحة قد ذهب الدّهر بها أثبت الحب عليها و محا .

انظري ضحكي و رقصي فرحا و أنا أحمل قلبا ذبحا .

و يراني الناس روحا طائرا و الجوى يطحنني طحن الرحى .

كنت تمثال خيالي فهوى المقادير أرادت لا يدي .

ويحها لم تدر ماذا حطمت حطمت تاجي و هدمت معبدي .»[130]

ذهب عمر الشاعر سدا نتيجة وعد لم يكن إلاّ وهما وخرابا ، و حبهما حروف كتبت و محيت جرّاء الغدر و الخيانة ، فأصبح يضحك ألما و كمدا ، يتظاهر بالفرح و السرور و اللامبالاة في حين أن قلبه مذبوح يقطر دما ، و هذا الألم يطحنه طحن الرّحى ، دون أن يشعر به أحد ، أو يحسّ به مخلوق ، إذ يصوّر نفسه الحزينة التي باتت عبدا للقهر و الحرمان ، و أصبح متشائما له نظرة حزينة للحياة ، و روح مكتئبة لأنّ الأمل غائب و اليأس حاضر ، أمل بعودة الصفاء و البهجة إلى حياته و يأس من صعوبة تحقّق ذلك لأنّ جرح الخيانة صعب النسيان و كذا صعب عودة الثقة إلى الحياة من جديد .

يقول في قصيدة " الخريف " :

« إن يكن حلما تولى مسرعا أجمل الأحلام ما ولّى سريعا .

إن يكن ما كان دينا يقتضي خلني أدفعه عنك دموعا .

قد شريناه عزيزا غاليا إن تكن بعت فإني لن أبيعا .»[131]

130- إبراهيم ناجي : ليالي القاهرة ، ص 35 ، 36 .

131- نفسه ، ص 195 .

ذهبت حبيبة الشاعر و تركته يصوغ مبررات ذهابها ، و يعدها بأنها مهما باعت العهد و نسيت حبهما فإنه باق على العهد لن يبيع ذلك الحب الثمين ، أي أنه سيبقى وفيا لها ، إلاّ أنه دفع و يدفع ثمن ذلك غاليا ، دموعه التي كانت خلاصا لألمه ، و تفريغا لكربه ، غير أنه أصبح يعيش العزلة و يحس بخيبة الأمل ، فالخيانة شبح مخيف ، ألقت بظلالها القاتمة على ناجب المرهف الحس و الوجدان ، إذ يبكي بلهفة الحزين المتألم حرقة و لوعة ، من حب مرير ، و حبيب خائن .

يقول في قصيدة " الحياة " :

« أجبت يا دنياي من تخدعين إني أمرؤ ضاق بهذا الخداع .

مزّقت عن عيشي هينيّ السنين لأنني مزّقت عنك القناع .»[132]

أصبحت الدنيا في نظر الشاعر عبارة عن خداع و خيانة ، إذ ضاق ذرعا منه بعد أن عاش قسوته و تجرّع مرارته ، فمزّق عيشه و حطّم حياته و جعل وجدانه الصّادق يسيل وجعا و بأسا ، و يفيض بكاء و شجوا ، و يعيش على اليأس أكثر مما يعيش على الأمل لأنّ نفسه جريحة ، و قلبه منفطر .

132- إبراهيم ناجي : وراء الغمام ، ص 22 .

5-<u>الكــذب</u> :

الحب و الكذب خطآن متوازيان لا يلتقيان ، فمن المستحيل أن نكذب على من نحب إلاّ أنّ أغلب قصص الحب تكون مزينة بأبهى الحلل الكاذبة ، التي تجعل من الأوهام أحلاما و من الآمال آلاما ، و هذا حال ناجي الذي لم يكتشف كذب حبيبته إلاّ بعد نهاية قصة حبّهما ، إذ راح يسترجع ذكرياته معها ، فاكتشف أنّها لم تكن إلاّ أكذوبة أحلام عاشها و بنى آماله عليها .

يقول في قصيدة " آمال كاذبة " :

« لا البرء زار و لا خيالك عادا ما أكذب الآمال و الميعادا .

عجبا لحبك يا بخيلة كيف يخـ لق من جوانح عابد حسادا .

إنّي لأهتف حين أفترس المدى و رأى الجحيم لجانبي مهادا .

آها على الرّأس الجميل سلا و أغـ فى مطمئنا لا يحس مهادا .»[133]

اكتشف ناجي كذب الآمال و المواعيد التي عاشها ، عرفه أن حلمه الجميل الذي بنى صرحه ، و وضع لناته بيديه و قلبه و وجدانه ما هو إلاّ خراب و وهم و سراب ، وكذب و خداع ، اكتشفها بعد فوات الأوان ، و بعد أن تغلغل الحب في قلبه ، حيث أصبحت دموع الحرقة و خيبة الأمل تذرف سجاما ، حتى سقت وسادته ، و بللت ثيابه ، و صفحات حياته و أنبتت شجرة التشاؤم ، و أنتجت ثمر الآلام و الأوجاع ، بعدما ذاقت نفسه ذاك الإحساس الأليم بالكذب و الخداع ، جرح كبرياءه و نهش رجولته .

133- إبراهيم ناجي : ليالي القاهرة ، ص 97 .

يقول في قصيدة " تعلة " :

« بخلت ليلاك حتى بالتعلات القليلة .

لم تدع للقلب من طو ل التباريج وسيلة .

لم تدع للقلب ما يشـ في من الوجد غليله .

لم تدع إلاّ رفيقا من نسيم في خميلة .

و خيالات يداوي طيفها نفسي العليلة .

و الرسالات اللّواتي و الأكاذيب النبيلة .»[134]

حطمت حبيبة الشاعر كيانه ، و جعلت قلبه مدمّر جرّاء الأكاذيب التي نسجتها ، و التي لم تترك إلاّ أطيافها و رسائلها الكاذبة ، و جرحه العميق ، حيث جعل الشاعر من هذه الأطياف و الرسائل دواء يداوي به نفسه العليلة و المجروحة ، إذ أصبح كئيبا و متألما أشدّ الألم بسبب كذبها و انفجر ذلك الرنين المقيّد في صميم روحه شجوا و بكاء ، إذ يخرج ناجي ألمه و شجوّه في ثوب حزين ، و يعبّر عنه بقلب خافق و شعر صادق مغمور بالعواطف المكتئبة و الجريحة التي تعكس صدى الإحساس العميق بالمحنة ، محنة الحب المحروم ، و وهج الكذب الذي يلهب كيانه ، و يقتله ببطئ ، و يجعله غارق في محنته ، متجرّع مرارة وحدته .

يقول في قصيدة " الوداع " :

« زمني ضاع و أنصفتني زاد الأول كالزاد الأخير.

ري عمري من أكاذيب المنى و طعامي من عفاف و ضمير .

134- إبراهيم ناجي : الطائر الجريح ، ص 105 .

و على كفك قلب و دم و على بابك قيد و أسير . »[135]

ضاع زمن الشاعر بعد أن جرفت أكاذيب المنى إلى واديه ، و جعلته يعيش مدمى القلب أسير الحب حيث عبّر عن ألمه بقلب خافق و لسان صادق ، و قلم يسيل وجعا و مرارة تحوّل حبره إلى دم يتدفّق بغزارة ، ليكتب به جراحه العميقة و الدفينة ، و خلجاته المضطربة و الكئيبة التي تدوّي عاليا ، لتجتر أشجان قلبه الحزين و المصدوم من أثر الأكاذيب التي ملأت أذنيه و أشبعت روحه و مع ذلك يحاول تضميد جرحه العميق الذي يفيض أسًى ، و ينبعث من صميم وجدانه .

135- إبراهيم ناجي : وراء الغمام ، ص 35 .

ملحق "إبراهيم ناجي"

ابراهيم ناجـــــــي

1-تاريخـــــه .

2-تعليمه و نشاطـــــه .

3-موهبته الشّعريـــــة .

4-نشاطه في جماعة أبولو .

5-نزعته و سمات شعره .

6-صفات الشاعر من منظور بعض النقّاد .

7-آثاره الأدبية .

8-وفاتـــــه .

شاعر بكى الحب و رثاه ، و كتب أرقّ القصائد و أكثرها حزنا و عذوبة عبّر عن مرحلة قوامها الحزن و الحب المحروم ، و الصبر و الوفاء و هدفها التجديد و قد جدد في شعره و جاء شعره تعبيرا صادقا عن وجدانه ، مصوّرا لشخصيته و حياته وفيا لأهوائه و آرائه في الحياة و الشعر ، و لعلّه كان بهذا الشعر يعالج أدواء روحه ، بينما كان بالأدوية و العلاج يداوي أدواء المرضى ، و هو طبيب معالج ، ذلك شاعر الأطلال إبراهيم ناجي .

1- تاريخـــــه :

إبراهيم بن أحمد ناجي ، ولد في حي شبرا بالقاهرة في 31 كانون الأوّل (ديسمبر) عام 1898م لأسرة القصبجي المعروفة بتجارة الخيوط المذهبة عمل والده في شركة البرق (التيليغراف) ، و هي شركة انجليزية يوم كانت مصر تحت الهيمنة البريطانية ، فأجاد اللّغة الإنجليزية ، و تمكّن من الفرنسية و الإيطالية ، و كان شغوفا بالمطالعة ، وامتلك في بيته مكتبة حافلة بأمهات الكتب فنشأ ابنه " إبراهيم " على حب المطالعة و شجعه أبوه على القراءة ، و كان يهدي إليه الكتب فأتقن العربية و الإنجليزية و الألمانية .

و أمّه هي السيّدة " بهيّة بنت مصطفى سعودي " الذي ينتهي نسبه إلى الحسين عليه السلام ، و تمت بصلة القربى من جهة الأخوال إلى الشيخ " عبد الله الشرقاوي " .

« و في شوبرا كانت تحيط به بيوت عليّة القوم ، منها بيت محمد فريد و بيت الشرقاوي حفيد الشيخ عبد الله الشرقاوي ، و بيت عثمان جلال و قد سمي ذلك البيت بشوبرا " مدينة الأحلام " و من هذا الإسم استوحى " إبراهيم ناجي " فيما بعد قصة وضعها تحت عنوان " مدينة الأحلام " ، و في بيت من بيوت مدينة الأحلام كان الحب الأوّل في حياة الشاعر وهو حب الطفولة و من جانب واحد ، و لكنّه ظلّ يغذّي خياله ، و يلهب مشاعره ، و يلهم قريحته طوال حياته .»[136]

136- جودت صالح : ناجي حياته و شعره ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب و العلوم الاجتماعية ، القاهرة ، 1960 ص20.

« كما استطاع إبراهيم ناجي أن يقرأ رواية " فيد كوبر فيلد " ل " شارل ديكنز " (1818-1870) و هو في الثالثة عشرة من عمره بلغتها الأصلية و قرأ في المرحلة الثانوية لفحول الشعر العربي قديمه و حديثه ، من أمثال " الشريف رضا " (1016م) و المتنبي (928) و أحمد شوقي (1932) كذلك اطّلع على الآداب الغربية فقد قرأ شعر " شيلي " و " كيتس " و " بيرون " و غيرهم من أعلام المدرسة الرومانسية الانجليزية ، و قرأ " بودلير " الشاعر الفرنسي ، و ترجم بعض قصائد ل " ألفراد موسيه " و " لامارتين " نشرها في ديوان " الغمام".»[137]

و قد تزوّج إبراهيم ناجي السيّدة " سامية " بنت اللّواء " محمد سامي أمين " محافظ العاصمة ، و أنجبت له ثلاث بنات هنّ " اميرة " ، " ضوحية " و " محاسن " و قد كتب فيهنّ جميعا أشعارا رقيقة أسرية .

كما تعرّف على ممثّله اسمها " زازا " ، شغف بها حبا فكانت كلّ همّه و شغله في أكثر يومه ، و قد نظم فيها قصيدة طويلة عنوانها " زازا " .

2-<u>تعليمه و نشاطـــه</u> :

لما حاز شهادة الدراسة الثانوية سنة 1917 انتسب إلى كليّة الطّب ، و تخرّج منها سنة 1923 و افتتح عيادة بميدان العتبة بالقاهرة ، و كان يعامل مرضاه معاملة طيّبة ، و في كثير من الحالات لا يأخذ منهم أجرة بل يدفع لهم ثمن الدواء ، ثم شغل عدة مناصب في وزارات مختلفة ، فقد نقل إلى " سوهاج " ثم " المينا " ثم " المنصورة " ، و استقر فيها من عام 1927 إلى عام 1931 ، حيث رجع نهائيا إلى القاهرة و كان آخر منصب تسلّمه هو رئيس القسم الصحّي في وزارة الأوقاف .

137- سامي يوسف أبو زيد : الأدب العربي الحديث (الشعر) ، ط1 ، دار المسيرة للنشر و التوزيع ، عمان ،الأردن 2014 ، ص 201 .

3-موهبته الشعرية :

تفتحت موهبته الشعرية باكرا ، فقد نظم الشعر و هو في الثانية عشرة من العمر ، و شجّعه والده عليه ، و فتح له خزائن مكتبته ، و أهداه ديوان شوقي ثم ديوان حافظ و ديوان الشريف الرضى ، و من شعره في الصبا قصيدة قالها و هو في الثالثة عشرة من عمره عنوانها " على البحر " .

4-نشاطه في جماعة أبولو :

لقد كان لجماعة أبولو تأثير بارز في تكوين شخصية إبراهيم ناجي و التعبير عن تجربته و رغبته التجديدة من جهة ، و في إبراز موهبته و إذاع صيته من جهة أخرى حيث « التحق الدكتور إبراهيم ناجي بمدرسة أبولو التجديدة ملبيا بذلك ميلا في نفسه إلى الخروج من قيد التقليد ، فسار في شعره مسارا مهجريا و اختار من الأوزان خفيفها و مجزوئها ، و من القوافي رقيقها و ليّنها و سار في أوزانه و قوافيه مسار الحريّة ، يلبّي نبضات القلب و ومضات الوجدان ، و هكذا كان في تجربته الشعرية ، و في أوزانه و قوافيه ، و تفجيراته النفسية ، شاعر وجدان يزخر شعره بالوجد كما يفيض بالذوق الإنسان .»[138]

حيث أنه عكس الأسس التي قامت عليها جماعة أبولو ، و عبّر عن مختلف توجهاتها و مبادئها من خلال انتاجه الشعري و الأدبي الوفير ، فقد « كان وافر النشاط على المستويين الأدبي و الاجتماعي ، ففي " أيلول" من عام " 1932 " صدر العدد الأول من مجلة جمعية " أبولو " و كان رئيس تحريرها " أحمد زكي أبو شادي " في إصدار المجلة و في " 10 تشرين الأول 1932 " اجتمع لفيف من الأدباء في كومة " ابن هانئ " و فيهم " إبراهيم ناجي " و انتخب " أحمد شوقي " رئيسا للجمعية و لكنه توفي بعد أربعة أيام ، فخلفه نائبه " خليل مطران " و كان " إبراهيم ناجي " من الأعضاء المؤسسين و بعد أقل من عام

138- حنا الفاخوري : الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث ، دار الجيل للطبع و النشر و التوزيع ، بيروت ، 2005 ، ص661.

جرت انتخابات جديدة في " 22أيلول 1933 " و انتخب "مطران " رئيسا و " أحمد محرم " و " ناجي " وكيلين و " أحمد زكي أبو شادي " سكرتيرا . »[139]

كما ساهم ناجي في تكريس المبادئ التجديدية التي نادت بها الجماعة من خلال التعبير عن التجربة الذاتية و البعد عن الأغراض الشعرية القديمة ، و عن الصنعة و التكلف ، و تحقيق الوحدة العضوية « و على صفحات المجلة نشر إبراهيم ناجي معظم ما كتب من شعر و ترجم ، وكان من أشهر ما ترجمه قصيدة " البحيرة " للشاعر الفرنسي " لامارتين " و قصيدة " أغنية الروح الغربية" للشاعر الرومانتيكي " شيلي " .»[140]

5- <u>نزعته و سمات شعره</u> :

يعبر إبراهيم ناجي في معظم شعره عن نزوع فردي رومانتيكي حزين ، فشعره ذاتي يكاد يكون خالصا للحب و الوجدان ، بل للقهر و الحرمان ، فهو يعبّر عن حب المحروم و يصدر عن رؤية متشائمة ، و نظرة حزينة ، و روح مكتئبة ، فالأمل غائب ، و اليأس حاضر ، و الدموع تنهمل غزيرة و الحرمان هو السائد ، والشقاء هو المسيطر ولا سيما شقاء المرأة ، و هو يراها دائما طهورا نقية الرّوح و إن كانت ماوثة الجسد و هو بذلك يعبّر عن مقولة " البغي الطهور " التي نادى بها الشعراء و الكتاب الرومانتيكيون .

و قد عبّر عن هذه النظرة الرومانتيكية في قصيدته المطولة " قلب راقصة " و هو يعبّر دائما عن شعوره بالوحدة و إحساسه بالخيبة و الهزيمة ، و تدل على ذلك عناوين قصائده .

يغلب عليه التعبير عن الألم ، كأنّه رثاء للذّات من خلال رثاء الحب ، و لم يبق سوى الذّكريات المرة و بقايا حلم زائل و كأن الشاعر ينفض يديه من الحب و الحياة فليس ثمة غير الوحدة و الألم و الشكوى و الأنين و الإحساس بالإحتراق و الشعور بالنهاية ، حتى

139- عبد العزيز الدسوقي : جماعة أبولو و أثرها في الشعر الحديث ، معهد الدراسات العالية ، القاهرة ، 1960 ، ص307.

140- عبد العزيز الدسوقي : جماعة أبولو و أثرها في الشعر الحديث ، ص 308 .

ليشبه نفسه بفراشة تحترق في نار الحب و يبدو أن نزعته الرومانتيكية هذه كانت صدى لثقافته و اطّلاعه على الشعر الرومانتيكي الفرنسي و الانجليزي و ما امتاز به هذا الشعر من نزعة فردية تتغنى بالمشاعر و العواطف ، و لا سيما الرومانتيكية الفرنسية التي كان الحزن يطغى عليها و يشيع فيها التعبير عن الحرمان و الخيبة كما أن الشاعر كان مستجيبا أيضا للنزعة الرومانتيكية التي كانت شائعة في عصره ، و لا سيما الرومانتيكية الحزينة الشاكية الباكية .

و قد كان يحمل نظرة واعية للشعر ، و يملك مفهوما محدّدا دعا فيه إلى تعبير الشاعر عن ذاته و مشاعره ، و استلهام الطبيعة و رفض التصنّع و التكلّف و لقد اختار إبراهيم ناجي في كتابه "كيف نفهم الناس " تعريفا للحب وضعه " تيوفيل جوتيه " و يدلّ على اختياره للتعريف على تبنيه له و إعجابه به ، و هو نوع من الحب صعب التحقق في الواقع و لعلّ هذا أحد أسباب شقائه في حبه و في حياته ، و فيه يقول " غوتيه " « الحب هو أن يسلم شخص تماما نفسه للآخر ، و أن يتنازل له عما يملك و ما يعتقد ، فلا يرى إلاّ بعينه و لا يسمع إلاّ بأذنه أي أن تصير واحدا في اثنين ، بحيث لا يعرف هل أنت أمن أنت الآخر ، فتمتص شعاعا و تنشر شعاعا ، فتصير القمر مرة ، و الشمس مرة أخرى ، و ترى كل الخلق و الوجود في الشخص الآخر ، فينتقل مركز الحياة عندك إلى هناك ، و تكون مستعدا لأكبر التضحيات ، و إنكار الذات و مستعدّا أن تتألّم على الصدر الثاني كأنه صدرك أنت ، و المعجزة أن تتضاعف و أنت تبذل ، هذا هو الحب .»[141]

6- <u>صفات الشاعر من منظور بعض النقّاد</u> :

كان إبراهيم ناجي شخصية محبوبة لدى الجمهور عامة ، و النقاد و الأصدقاء خاصة فقد كانت له صفات تميّزه و تبرزه و تحدد بعض ملامح شخصيته ، حيث يصفه " شوقي ضيف فيقول: « كان كثير الاتصال بالناس ، مشرق الروح ، أنيس المجلس ، تحس و

141- نعمات أحمد فؤاد : ناجي الشاعر ، المطبعة المنيرية ، القاهرة ، 1954 ، ص 57 .

أنت تجلس معه كأنه عصفور فزع ، فهو كثير التلفت لا يهدأ له قرار ، و لكنه يملأ الجو من حوله مرحا بفكاهته الخفيفة ، و عذوبة روحه القلقة .»[142]

يصف شوقي ضيف إبراهيم ناجي وصفا دقيقا رقيقا ، يعكس لنا شخصيته القلقة المضطربة ، و في نفس الوقت نجد أنها شخصية هادئة و مرحة كما تصفه الدكتورة نعمات أحمد فؤاد فتقول: «...كان ناجي ‘لى جانب ذلك سريع الانفعال ، كثير الأوهام ، قلق الظنون ، طاغي الحس ، رفاف النفس ، هفاف المشاعر ، و كلها عوامل تظهر أثرها في صاحبها ، في حديثه ، في أسلوبه ، في قسمات وجهه ، في كل ما يصدر عنه ، و كذلك شأنها مع ناجي ، كان لها انطباعات في أسلوبه ، فتركته متوثبا نابضا بالحركة .»[143]

تصف نعمات أحمد فؤادإبراهيم ناجي بأنها شخصية انفعالية قلقة واهمة ، لذلك جاءت شخصية حساسة رهيفة المشاعر جعلته ينبض بالحركة .

كما تحلل نعمات أحمد فؤاد شخصيته فتقول « ...و ناجي ضحوك طروب ، و لا يتنافى هذا مع شعره الحزين الباكي ، فإنّ أسرع الناس استجابة لأسباب الضحك عند الحاجة أعظمهم إحساسا بالألم و قد كان شعره صورة من نفسه ، و نفسه طالما عصره الألم ، أمّ النكتة فهي تنفيس ذلك الألم في نوع آخر ، تنفيس ضاحك ، حين كان الشعر تنفسيا باكيا.»[144]

تحدد نعمات أحمد فؤاد بعض ملامح شخصية ناجي التي امتزج فيها الألم مع الضحك فالبرغم من أنه كان فكاهيا ضاحكا إلاّ أن شعره كان حزينا باكيا ، و ترد هذا إلى أنه شاعر حساس يضحك رغم أنه يتألم و يعبر عن ألمه بأسلوب ضاحك ، و بالتالي جاء شعره تنفيس عن ألمه و خلجاته.

142- شوقي ضيف " الأدب العربي المعاصر في مصر ، ط5 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1974 ، ص 155 .
143- نعمات أحمد فؤاد : ناجي الشاعر ، ص 118
144- نفسه ، ص 110 .

و يرسم له صالح جودت صورة دقيقة واضحة فيقول : «كان ناحل العود ، أصلع مقدمة الرأس كبير الأنف ، في عينيه بروخ رجراج ، و يمشي و كأنه يتعثر كان نصيبه من وسامة الوجه محدودا و كان ضعيف البنيان كثير العلل ، و كان فوق هذا قليل الاهتمام بمظهره.»[145]

يتضح من خلال هذا الوصف الذي قدمه جودت أن إبراهيمناجي لم يكن وسيما مهتما بمظهره بالقدر الذي كان شاعرا جذّابا مهتما بشعره .

7-<u>آثاره الأدبية</u> :

- أصدر لإبراهيم ناجي في حياته ديوانين اثنين هما " وراء الغمام " نشرته له جماعة أبولو عام " 1934 م " و يغلب عليه الحزن و التعبير عن الحب المحروم.
- أصدر عام " 1943 " ديوانه الثاني " ليالي القاهرة " ، و يقصد بها ليالي الحرب العالمية الثانية ، و هو يعبر فيها عن كراهيته للحرب التي حرمته من سهر اللّيالي .
- نشرت له دار المعارف بعد وفاته ديوانه الثالث " الطائر الجريح " عام " 1957 " .
- ديوانه " في معبد اللّيل " ضم مجموعة قصائد متناثرة جمعها صديقه الأديب السوري "سامي الكيالي " .
- أصدرت له دار العودة في بيروت عام " 1987 " ديوان " إبراهيم ناجي " ضم دواوينه الثلاثة.

كما له تراث أدبي متعدد الجوانب في مجال الشعر و غيره من فنون النثر كالنقد و القصة و علم النفس و الترجمة الأدبية .

و من كتبه : " مدينة الأحلام " ، " رسالة الحياة " و " أدركني يا دكتور " بالإضافة إلى " عالم الأسرة " ، أصدر سنة " 1935 " .

145- جودت صالح : ناجي حياته و شعره ، ص 101 .

و من بين قصائده : " رسائل محترقة " ، " الأطلال " ، " السراب " ، " الشك " ، " ظلام" " في ظلال الصمت " ، " الناي المحترق " ....

8- وفاتـــه :

كان " إبراهيم ناجي " يهمل صحته و لا يأخذ العلاج ، و قد ألحّ عليه داء السكري ، و أصيب بذات الرئة و هو مايزال يهمل صحته إلى أن وافته المنية في " 25 مارس 1953 " عن عمر يناهز الخامسة و الخمسين سنة و دفن إلى جوار جدّه لأمه الشيخ " عبد الله الشرقاوي " ، في مسجده بجوار " الحسين " .

الخاتمة

الخاتمة :

عالج هذا البحث ظاهرة الألم في قصائد الحب الهجرية حيث انطوى تحت عنوان : نزعة الألم وجروح الروح في قصائد الحب المهجرية – إبراهيم ناجي نموذجا استطعنا من خلاله التوصل إلى جملة من النتائج تتمثل في :

- ❖ تعدد الحوامل التي ساهمت في هجرة الشعراء من بلاد المهجر.
- ❖ ساهم شعراء المهجر في تطور القصيدة العربية .
- ❖ اندماج شعراء المهجر بالطبية حيث عبروا من خلالها عن مختلف تجاربهم فكان حزنهم لحزنها و فرحهم لفرحها .
- ❖ جدد شعراء المهجر في شكل القصيدة ومضمونها.
- ❖ بروز ظاهرة الحزن والتشاؤم في معظم قصائدهم.
- ❖ تبرز نزعة الألم في حب إبراهيم ناجي خاصة بعد تجرعه مرارة فراق الحبيبة .
- ❖ عدم توافق الشاعر مع نفسه وهذا راجع الى الاضطراب النفسي الذي يعاني منه .
- ❖ سبب الحب حالة نفسية متأزمة لدى إبراهيم ناجي .
- ❖ أهم ظاهرة تبرز في شعور إبراهيم ناجي ظاهرة الألم وهذا راجع إلى عاطفته الجياشة ورهافة حسه .
- ❖ تعددت أساليب تعبير إبراهيم ناجي من بينها الضجر من الحياة والاستسلام للألم والمعاناة .
- ❖ للألم في الأدب العربي الحديث موضوع يستمد دلالاته من خيال الكتاب و تجاربهم مما يجعل العمل الابداعي متميز وصادق .
- ❖ كثرة الألفاظ التي تنتمي الى حقول دلالية وجدانية خاصة بالألم والوجع الذي سببه الحبيب .
- ❖ كان الحب أكثر شيء أثار نزعه الألم لدى إبراهيم ناجي من هجر الحبيب وخيانته .

- ❖ كان ناجي على قدر كبير من النضج الشعري في مجال تطوير القصيدة .
- ❖ كانت ألفاظ إبراهيم ناجي خير تعبير عن الحالمة المفعمة بالألم .
- ❖ حرص إبراهيم ناجي على إظهار انسانية المرأة رغم كل ما سببته له .
- ❖ قصائده مغمورة برقة عاطفية وشعور حب دفين وحزين .
- ❖ شعر إبراهيم ناجي غنائي حزين ، خاص بالشكوى الذاتية إن شعره ذاتي .
- ❖ ساد شعر إبراهيم ناجي والشعر المهجري عامة نزعة الحرمان والحزن والكآبة والألم

وفي رفوف المعرفة ، وأن نكون قد أوضحنا نزعة الألم في قصائد حب ناجي ولو بجزء بسيط ، وما طرح في هذا البحث يبقى قابلا للإثراء و التوسع .

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع :

1- إبراهيم ناجي : الطائر الجريح ، دار الشروق ، القاهرة ، ط3 ، 1997 .

2- إبراهيم ناجي : ليالي القاهرة ، دار الشروق ، القاهرة ، ط3 ، 1997 .

3-ابراهيم : ناجي وراء الغمام ، دار العودة ، بيروت ، 1986 .

4- أبو البقاء : الكليات ، معجم في المصطلحات و الفروق اللغوية ، تق : عدنان درويش ومحمد المصري ج1 , مؤسسة الرسالة , بيروت , 1998

5-أبو تمام : الديوان (تق : شاهين عطية)، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط3 ، 2003 .

6-امرؤ القيس : الديوان ، دار صادر ، بيروت ، 1997 .

7-انس داوود : التجديد في الشعر المهجري ، دار كتاب العربي ، القاهرة 1967 .

8-ايليا ابو ماضي : الخمائل ، دار صادر ، بيروت (د. ت) .

9-ايليا ابو ماض : الجداول , دار العلم للملايين , بيروت , ط3 1987

10- بدر شاكو السياب : الديوان ، ج1 ، دار العودة ، بيروت 1987 .

11-بشار بن برد : الديوان ، ج1 ، (تق محمد الطاهر بن عاشور) ،ج1 ، عاصمة الثقافة العربية الجزائر ، 2007 .

12- ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ، (تق : عبد السلام محمد هارون) .

13-ابن منظور : لسان العرب ، (تق :خالد رشيد القاضي) ، ج1 ، دار صبح بيروت ، ط2 2006 .

14-جبران خليل جبران : الأجنحة المنكسرة ، المكتبة الثقافية ، بيروت (د . ت) .

15-جبران خليل : المواكب ، دار اليقضة العربية ، بيروت ،(د.ت) .

16-الجوهري : معجم الصحاح ، ج1 ، دار الحديث ، مصر، (د.ت) .

17-حافظ إبراهيم : الديوان ، ج1 ، دار صادر ، بيروت ، ط 2 ، 1989 .

18-حسان أبو رحاب : الغزل عند العرب ، المكتبة الثقافية الدينية ، القاهرة ، ط1 ، 2004 .

19-الحلاج : الديوان ، (تق : سعدي صناوي) ، دار صادر ، بيروت ، ط3 ، 2008 .

20- رشيد أيوب : أغاني الدراويش ، مؤسسة هنداوي ، القاهرة .

21-رشيد أيوب : الأيوبيات ، نيويورك 1916 .

22- سراج الدين محمد : الغزل في الشعر العربي ، ج4 ، دار راتب الجامعية ، بيروت ،(د.ت) .

23-شعبان عبد الحكيم محمد : حركة التجدد العربي في المهجر، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع مصر ، ط1 ، 2012 .

24-شكر الله الجر:الروافد ، دار الكتاب الحديث ، القاهرة ، ط1 ، 2010 .

25- صابر عبد الدايم : أدب المهجر ، دراسة تحليلية تأصيلية لأبعاد التجربة التأملية في الأدب المهجري ، دار الكتاب الحديث ، القاهرة ، ط1، 1984 .

26-عادل صادق : الألم النفسي و العضوي ، دار الكتاب الحديث ، القاهرة ، ط1 ، 1984 .

27-عباس محجوب : الأدب الاسلامي قضاياه المفاهيمية والنقدية ، جدار للكتاب العلمي ، عمان 2006 .

28-عبد الحكيم بليغ : التجديد الشعري في المهاجرين النظرية والتطبيق ، مكتبة الشباب ودار الزينة بيروت ، ط 1(د.ت) .

29-عبد القادر : الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، دار النهضة العربية ، بيروت 1978 .

30- عبد المعين ملوحي : الحب بين المسلمين و النصارى في التاريخ العربي ، دار الكنوز الأدبية بيروت ، 1993 .

31- عروة عمر : العصر العباسي ،أبرز اتجاهاته وأعلامه ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 2010 .

32- علي عشري زايد : عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، مكتبة الأداب ، القاهرة ، ط5 2008 .

33-عمر بن أبي ربيعة : الديوان ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 1998 .

34- عنترة الديوان : دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 1998 .

35- عيسى الناعوري : أدب المهجر ، دار المعارف ، مصر (د.ت) .

36-الفرزدق : الديوان ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 2006 .

37-قيس بن ذريح : الديوان ، دار المعارف ، بيروت ، ط2 ، 2004 .

38-قيس بن الملوح : الديوان ، دار المعرفة ، بيروت ، ط2 ، 1999 .

39-كعب بن زهير : الديوان ، (تق محمد يوسف نجم) ، دار صادر ، بيروت ، 2004 .

40-مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية ، بيروت ، 2004 .

41- محمد حامد شوكت ورجاء محمد عبد : مقومات الشعر العربي الحديث والمعاصر ، دتلا الجيل للطباعة ، بيروت ، (د.ت) .

42-محمد عبد الغني حسن : الشعر العربي في المهجر ، مؤسسة كانجي ، القاهرة ، ط3، 1962.

43-محمد العيد آل خليفة: الديوان ، دار الهدى ، الجزائر، 2010 .

44- مصطفى ابراهيم وآخرون : المعجم الوسيط ، ج1، دار العودة ، بيروت ، (د.ت) .

45-ميخائيل نعيمة : همس الجفون ، دار صادر ، بيروت ، ط2 ، 1982 .

46-ميخائيل نعيمة : همسة الجفون ، دار نوفل ، بيروت ، ط6 ، 2004 .

47- هناء جواد العيساوي : شعر الغزل في العصر الأموي ، دراسة في ثنائيات الشكل والمضمون دار الرضوان ، عمان ، ط1 ، 2014 .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات :

1 - دعـــاء .

2 - إهـــداء 1 .

3 - إهـــداء 2 .

4 - شكر و عرفـان .

5 - مقدمـــة .

6 - الفصل الأوّل ..... 1- 58 .

7 - الفصل الثاني ..... 59 – 99 .

8 - ملحـــق إبراهيم ناجي ..... 100 – 108 .

9 - خاتمـــة .

10 - قائمة المصادر و المراجـــع .

11 -فهرس الموضوعـــات .